كتاب

التربية

تأليف

حضرة محمد افندى خالد

مدرس اللغة الفرنساوية بمدرسة الطب

ما نحن الي ما نتقوي به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا الي الادب الذي هو لقاح عقولنا

ابن المقفع

نحن الي قليل من الادب احوج منا الي كثير من العلم

ابن المبارك

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

طبع بمطبعة الآداب بمصر سنة ١٣٠٧ هجرية

﴿ تقدمة الكتاب ﴾

﴿ لصاحب الدولة والاقبال مصطفي رياض باشا رئيس مجلس ﴾

﴿ النظار الجليل ﴾

ايها الوزير الاكبر

هذا امتعنا الله ببقائك الجميل وحكمة سلطانك العادل كتاب في التربية اسندته الي اسمك الكريم وقد بعث بي الى ذلك ما جبلت عليه سجايا دولتكم الشريفة من حب البلاد والارتياح لنجاح الأُمة المصرية وارتقاء عنصرها كما برهنت علي ذلك اميالك واعمالك وشهدت به مبادئك وغاياتك

برهنت ايدك الله بروح منه ورعاك بعين عنايته للهيئة علي طهر مقاصدك وتوجه جليل همتك الي سعادة الأُمة باقامة رجال لأَعمالها قد حسنت تربيتهم فشرفت اخلاقهم وكرمت شمائلهم وقد كانوا قبل وزارتك في منبذ من الأَمر ولاذنب لهم غير الاعتصام بمبادئ الجد والاستقامة

برهنت ايها الوزير الاكبر باعمالك البارة على ان العنصر المصري كفؤ لان يقوم بعظائم الأُمور لو مدّ بالعناية ونال الالتفات والرعاية وتلك مأثرة كريمة يحفظها التاريخ

فاكرم بك من اب رحيم للامة المصرية وعضد كريم تسعى
الي خيرها وتأخذ بناصرها وهكذا سجايا كبار الرجال الذين نالوا
سعادة الذكر وأشربت القلوب حبهم واجتمعت علي ولائهم
فتقبل يارعاك الله سفراً صغيراً يعظم باسمك ويسعد باقبالك عليه ويتزلف
الي مرضاتك بما اودع فيه من بعض ماتحبه لابناء قطر عزّ بعنايتك
وكرمَ برعايتك

(محمد خالد)

obeikandl.com

التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منير الاشباح بنور الارواح الهادي الي سواء السبيل بهدي التنزيل باعث اولي العزم من الرسل بالهدى ودين الحق لتطهير الهمم من دنس الغواية بالعناية واستخلاص النفوس من رجس العادة الى نهاية السعادة بالرعاية والصلاة والسلام على رسله وانبيائه (اما بعد) فان الانسان باصغريه قلبه ولسانه فبمقدار مايتوفر حظه منهما تسمو مكانته وتعلو منزلته بين افراد نوعه ولايكمل له ذلك الابتربية النفوس وتسديدها الي كمالاتها وقد تسابقت الأمم علي اختلاف مذاهبها ومشاربها النوال تلك الغاية فأعدوا لها الوسائل

المختلفه

المختلفة والمناهج المتنوعة وقد كان يظن ان الانسان بممارسته العلوم وانكبابه
عليها ينال تلك الأمنية حتي ظهران ذلك لايجعله الاعالماً فقط اذ أن
العلم على حدته لايجعل الانسان قويم الخلق ظاهر العواطف لان
تأثيره بمعزل عن مركز هذه القوي ولايبلغ الصيقل بعمله
في السيوف الا ان يرهفها دون ان يستخلص جوهرها او يؤثر في تقويمه
ومن اراد ان يصلح الطباع ويقوّم الاخلاق ببعض العلوم فكأنما
اراد ان يزيل سواد الزنجي بالماء وهو لايجعله الانظيفاً ولما كان
الشيء يشرف بشرف موضوعه او بمسيس الحاجة اليه وكان تهذيب
الاخلاق موضوع التربية وتثقيف العقول موضوع العلم وناهيك
بهما والحاجة اليهما شديدة وكان من الواجب ان يقترنا لتزدوج
المنفعة وتكمل النتيجة لاسيما وقد كنت اري رب العواطف الشريفة
والهمم العالية ناظر معارفنا الهمام صاحب السعادة علي باشا مبارك
يحرك الهمم وينفث تلك الروح الشريفة في نفوس من نيط بهم
امر التربية والتعليم وكنت قد نشرت جملة رسائل في جريدة
الآداب والصحة والمقتطف استخرت الله تعالي في وضع كتابي هذا
لعلي آتي علي قليل من كثير او اقوم ببعض مايجب علي معتمداً في ذلك
على آراء فريق من كبار الفلاسفة واقوال الحكماء كالامام الغزالي
وهيربراسبنسر وفكتوركوزن وجيزو وليبنتز وجوستاف لوبون

وغيرهم متجنباً فيه التطويل الممل والاختصار المخل وعلى الله الاعتماد

﴿ التربية والاخلاق ﴾

كانت التربية في الازمنة القديمة جسدية محضة مدارها على انماء القوة الجسدية وتعزيزها وكانت التربية العقلية كاسدة السوق جدّاً ثم لما انقرض عهد الخشونة وحام طائر السلام على وجه المعمورة اصبح الانسان في غنى عن القوة الجسدية الافي الاعمال اليدوية وارتبط نجاح حاضره وفلاح مستقبله بانماء القوي العقلية وارتقائها فصارت التربية عقلية محضة وعنى الانسان شديد العناية بالعقل واهمل الجسد وهذا خطأ بيّن ايضا لان الحياة الجسدية انما هي اساس الحياة العقلية ولايتهيأ للانسان ان ينمي العقل ويرقيه بدون صرف مقدار من القوى الجسدية

هذا ولما كانت التربية من الامور الشريفة الغاية الجديرة بمزيد الالتفات والعناية ومن اهم ماتطلبه كل حكومة نبيلة القصد تسعي في ارتقاء افرادها الي اسمى مراقي التمدن رأيت ان ابين ما كانت عليه التربية عند اليونانيين والرومانيين والمصريين ايام تمدنهم عسي ان افيد بعض الذين فرطوا في شأنها ولووا جياد العزائم يتطلعون للغنم من غيرها

التربية عند اليونانيين — كان اهل اثينا صدر تمدنهم يباشرون تربية الاطفال منذ نعومة اظفارهم الي ان يبلغوا الحادية والعشرين من عمرهم فكانوا يتركون الطفل في الخمس السنين الاول لما يقوي عليه من الحركات المساعدة لهُ على تقوية جسده ونمائه ثم يلحقونه بمدرسة ابتدائية يمكث بها الي الثانية عشرة من عمره فيتعلم مبادئ العلوم ويعاني الرياضة الجسدية بالجمناز والمصارعة ثم يلحقونه بمدرسة عالية اذا كانت عائلته في سعة من العيش فيتلقي فيها الفلسفة والآداب وفن الموسيقى والنقش والتصوير مع الرياضة الجسدية في الملاعب العمومية

وكانت شرائعهم تأمر بالرياضة الجسدية وتسن اصولها وتوضح قواعدها وتنادي بالاحتفاء بها وكانوا يعتبرون الجمناز والملاعب الرياضية اهم فروع التربية لانها تنشط الانسان وتصيره سريع الحركة قوي البنية قادرا علي تذليل الصعاب ومناصبة المشاق والثبات في معامع القتال . ومع ان الحكماء والعقلاء من اهل اثينا كانوا يرتاحون لجعل مدار التربية على ازدياد القوة الادبية ووفورها الا انهم كانوا ينضوون تحت انفهم للرأي العام ويحكمون باعدام من لم يكن قويّ البنية جيد الصحة من الصبيان . هذه هي مبادئ التربية عند اهل اثينا . اما اهل اسبرطة فكانوا يقصدون

بالتربيـة تكريم العواطف وبث صحيح الآداب وروح الشجاعة في الطباع والحث على احترام القوانين وتوقير الشيوخ وكانوا يعودون ابناءهم على التخشن في المأكل والملبس ونبذ الترف ونعومة العيش لما ينشأ عنهما من استرخاء الهمم وضعف العزائم واذا ترعرع الصبي كانوا يعودونه على مناصبة المشاق واحتمال الآلام بدون ابداء تضجر ولا تألم وربما كانت اسبرطة اقدم مدينة عرفت المزايا المترتبة على تربية النساء فرفعت شأنها وعززت جانبها وسعت تطلب في البنات امهات قويات البنية وزوجات عفيفات كرائم تؤثرن الوطن على الازواج والبنين. قيل ان امرأة من نساء اسبرطة قالت لابنها وقد ناولته ترسه وهو ذاهب الى معامع القتال حيث تباع الارواح رخيصة في حب الوطن (عد يا ولدي بترسك اوعليه) اي اقهر الاعداء وعد بالترس مكرماً منصوراً أومت كريماً في ساحة القتال فيؤتى بك محمولا على ترسك

التربية عند الرومانيين — كانت غاية التربية عند الرومانيين بث الشجاعة والاقدام في نفوس الشبان وتعويدهم على اقتحام الاخطار وكانوا يطالبون العيال بتربية الاطفال ولا سيما بغرس محبة الوطن في نفوسهم فتبذل كل عائلة ما في وسعها لتحريك خواطر ابنائها نحو محبة الوطن منذ نعومة اظفارهم وتبث فيهم روح البسالة والاقدام

حتي اذا ترعرع الصبي سخر في مواقف الردى بالحمام ولم يرهب الموت الزؤام بخلاف اهل اسبرطة فانهم كانوا يكلون التربية للقوانين ولعل قيام العائلة عند الرومانيين بشؤون التربية من اجل الاسباب التي اطارت شهرتهم في المجد والعظمة . ومن عوائد الرومانيين انهم كانوا ينتخبون قريبة فاضلة اكتسبت حسن الاحدوثة بين عشيرتها واكسبتها الكهولة حكمة وحزما وزادتها التجربه دراية وفهما و يكلون اليها شؤون تربية اولادهم من بنين وبنات وكانوا لايبيحون التفوه امامها بشيء مما يغاير ناموس الشرف والحياء وكان على هذه المربية ان تسلك بهم مسلك الاعتدال في دراستهم ورياضتهم وألعابهم فاذا شب الصبي المتخرج على يدها كان ينطق مترعرعاً بحكمة الكهول متحاشيا كل ما يباين الفضائل من الاعمال ولايعاني من المهن الا ما يلائم العفة وكرم الخصال ولئن كانت الامهات في رومية لم يدركن شأو أمهات اسبرطة في صرامة الاخلاق وعفتها والمغالات في حب الوطن فانهن كن حريصات على اسباب العفاف والاحتشام بالنسبة الي نساء أثينا . ومن عوائد الرومانيين انهم كانوا لايبيحون للاولاد شرب النبيذ قبل بلوغ الثلاثين سنة وكانت رياضتهم الجسدية المألوفة السباحة وركوب الخيل والصيد والعدو والمصارعة وكانو لايألفون لعب الجمناز

خلافاً لاهل اثينا

التربية عند المصريين — ان الأمة المصرية اشهر امة بين الأمم القديمه انتشر فيها التعليم وكانت معرفة القراءة والكتابة ضرورية لكل فرد من افرادها حتى يتسني له ان يرتقي الى جميع المناصب وكان الكهنة هم القائمون بشؤون التعليم في الهياكل وكانوا كثيرا مايقولون للتلامذة (كونوا كتاباً تصلوا الي أسنى المراتب وسعادة الحال واعلموا ان مهنة الكاتب هى اشرف جميع المهن) وكان الامهات يعتنين بأولادهن حتي يبلغ عمرهم ست سنوات فيرسلنهم الى الهياكل ليتعلموا فيها ويأخذن لهم الاكل كل يوم وكان نظام الضبط صارما حتى ان الكاهن كان يضرب التلامذة ضربا مبرحا ولم يكن يطالب بذلك ولوكسر بعض اعضائهم وكان التلميذ المعد لوظيفة كاتب يكتفي في أمر تربيته بالقراءة والكتابة بالمداد الأحمر والأسود وبجانب من علم الحساب والرسم اما ابناء الكهنة والوجوه فكانوا يوسعون نطاق معارفهم كثيرا

هذه هي أحوال التربية منذ آلاف من السنين وهي لاتخلو من المحمود بالنسبة الي التربية الحالية ومن يقارن بين تربية السلف وتربيتنا الحالية يرأنهم كانوا يقصدون بالتربية ايجاد رجال تحيا بهم الاوطان ويسمو بهم مجد الأمة وتقوى

شوكتها اما نحن فكأننا نقصد بالتربية ايجاد آلات حاسبة وخشب راسمة وتماثيل عالمة وأوثان مدرسة واشباح مهندسة مع ان الغاية من التربية ايجاد رجال احياء تحيا بحياتهم البلاد ولا يتيسر وجد ان هولاء بالتعمق في الرياضيات والتبحر في الطبيعيات فان العلوم ليست غايات بل هي وسائل بمالأنها يظفر الانسان بالغايات انما يظهر هؤلاء الرجال يوم يبعث علم الأخلاق من مرقده فيجلو للعقول مظاهر الجد ويمهد للأرواح سبل الصبر على مناصبة الأعمال ويشف للخواطر عن مزايا منعة الأمة وعزتها وفضائل محبة البلاد ومعزتها هنالك تقوى الآمال ويحيا رجاء الرجال بالرجال

تربية البنات

اذا لاحظت عين العناية امة قد دهمتها الكوارث وزعزعت اركانها مناحس الحوادث هيأت لها من بلم شعثها ويرتق فتقها ويتلافى بالاصلاح أمرها فتسعد حالا بعد الشقاء وتقر عينا باجتلاء السراء وانقضاء عهد الضراء وتحيا همم افرادها وتبعث عزائم آحادها

ولا شك ان عين العناية قد لاحظت امة المدارس فارسلت لها وزيرا حكيما تدارك بالحسنى أمرها وعالج بالحكمة ما ألم بها

من الداء فاصبحت تتسابق في نيل الفلاح وتتنافس في طلب التقدم فان نالت الحظ الأوفر من التهذيب والغاية المطلوبة من التربية فلا يكون ذلك الا في عهد وزارته وهذا متوقف على امر نستلفت اليه نظر وزير معارفنا الخطير وهو تربية البنات واصلاح تهذيبهن وانه لدين واجب القضاء وحق لازم الوفاء قد اصبحت تطالبنا به العقائل في الصحف العلمية والمجلات الأدبية ولولا ماجبان عليه من رقة الطباع واللطف لقلت بالحاح وعنف ولكن معاذ الله ان ننسب لذوات اللطف عنفا او نقابل طلبهن وهو حق بالتهاون فنجحف بحقوقهن وحاشا ان نعيرهن اذنا صماء فانهن المواسيات لنا في العناء والنصب المسليات لنا في الشدة والتعب وتربيتهن من الزم ما يلزم للهيئة الاجتماعية ومن أجل مايعود بالفائدة عليها

وبناءً على ذلك فيجب علينا ان نبين افكارنا في هذا الامر الجلل عسي ان نسمع من نبذوا تربية البنات ظهريا وعدوها شيئًا فريا فنقول

انا ما رأينا أمة بلغت اوج التمدن والحضارة الا وكان الجنس اللطيف مشاركا للرجل في الحركة العقلية مشاطرا له في سمو المدركة حائزا لما يلزم من المعارف التى ترشحه لاصلاح حالة

البيت

لبيت وترتيبه والاقتدار على أجل عمل واشرف غاية وهو تربية لبنين واصلاح شأنهم وهذا متوقف على تربية البنت قبل قيامها بهذه الوظيفة الرفيعة واقدامها علي تهذيب سلطان الطبيعة وان مثل امة تسعي خلف المدنية الحقة وتحاول الفوز الاكيد في هذا العالم تاركة المرأة في مراتع الجهل الوخيم كمثل رجل يسعى علي قدم واحدة لادراك غاية يريد التماسها وما رأينا امة اهملت فيها تربية البنات وترقية قواهن العقلية والادبية الا وانحط شأنها وتقهقر نوعها وفسدت فيها روح العائلة التي هي المحور الذي يدور عليه نظام الجمعية واستقامة اطوارها ومن امعن النظر في امر الغرب حيث تباري فيه مدارس البنات مدارس البنين وفي امر الشرق حيث ترتع فيه البنات في مراتع الجهالة وتاهو بباطل الزينة عن الزينة الأدبية الصحيحة لأيقن ان للمرأة شأنا مهما في تفاوت الاجناس فان حسنت تربيتهن ارتقى الجنس وشرف وان اهملت انحط وتقهقر

هذا ومن تأمل في حالة الزوج والزوجة في بلادنا ونروم بالزوج الرجل الذي نال جانبا من المعارف والتهذيب يراها سوء البخت في تنافر وان كان بينهما بحكم الطبيعة ائتلاف وما ذلك الا من اختلاف المشارب وتباين الغايات ومنشأ ذلك الاختلاف على

مانريه هو اختصاص الزوج بمزايا التربية والمعارف واستمرار الزوجة في حالة الوقوف التي قضت بها عليها عوائدنا السمجة وضلالنا المبين فاني يتآلفان والمقاصد متباعدة او ينجذب احدهما نحو الآخر والاميال متغايرة فيجعل اذاً بكل امة تطلب المكانة الكريمة بين الأمم ان تسعى الي احكام الرابطة الزوجية سدا لهذا الخلل بمد الزوجة بجانب من عذب المعارف وغض الآداب تتجمل به فيغنيها عن الحلي وزخارف الزينة ليصلح شأنها وتحسن حالة بيتها ويكمل عقلها فتأخذ بمجامع قلب زوجها وتجيد تربية اولادها

هذه هي حالة الزوجة بازاء الزوج وهي تعالج بالتربية كما بيناه واما مكانتها من الولد باعتبارها اما فخطيرة جديرة بالالتفات لان الأم ان كانت جاهلة سيئة الخلق فاسدة ورثت ولدها جنيناً سوء الملكة وارضعته رضيعا فساد الطباع وربته طفلاً في حجر الجهالة ومايتفرع عنها لانها هي القائمة بأمره والقيمة عليه الي بلوغه سن التمييز فاذا ترعرع وشب على هذه الاخلاق الذميمة ليت شعري ماذا تفيد في أدبه الرياضيات وماذا تؤثر في اخلاقه الطبيعيات اما اذا كانت مهذبة حسنة الأخلاق فتورث ولدها صفاتها وتمده بما في وسعها من التهذيب والمباديء الصحيحة وترشده

للمدرسة وتكون اجل معين للمعلم علي بث روح التربية فيه وتلقينه العلوم

ولكن رب قائل يقول انا لو علمنا البنات فتحنا لهن باب المراسلة والاسترسال في الهوي فنجيبه بانا لو فرضنا ان قصدت بسوء فتاة متهذبة نشأت علي مبادئ صحيحة بها ارتقت الي الانسانية الحقة واخري غير مهذبة مجردة عن المبادى، الصحيحة اقرب للبهيمية منها للانسانية فأيتهما تصون حجابها عالمة ان في الصيانة عزها وتحمي من الدنس ازارها جازمة ان في ذلك شرفها ولو ابتليت كنتاهما بمتظرف من المفسدين فمن منهما ياتري تكون لاشارته اسمع ولغمز عينيه اطوع لاشك انها التي لا تخشي علي ثلم شرفها ولا تعرف معني العفة ومزاياها لتحافظ على ناموسها

اما المتهذبة التي زادتها التربية بسطة في النهي فلا يخدعها فساد المتظرف ولا يروق بعينها لنزاهة نفسها وعفة خاطرها واشتغال افكارها بما فيه مصلحتها وخيرها

وعلى ذلك فبقاء المرأة في الجهالة حفظا للعرض من الابتذال على زعم المعترضين على تربيتها الساعين في عدم ترقية قواها العقلية مضر بها وبالجمعية والزوجية والولد ولاشك ان تعداد الزوجات في بلادنا وهو من الأمور التى لا تحمد مغبتها ناشيء عن جهل المرأة

لان الرجل ان دخل بامراة ملائمة من وجوه وغير ملائمة من وجوه اخري طلب غيرها بطريق الزواج ان كان موسرا ليكمل بمزاياها ما نقص من مزايا الاولي حتي يتم له الغرض المقصود من الزواج فتعيش كلتاهما منغصة كارهة بقاء الاخري ناقمة علي اولادها فان رأي ان بعض المزايا معدوم من تينك الزوجتين المبغضتين لبعضهما كمل المزايا المعدومة بثالثة وهكذا اما اذا كان فاسد الاخلاق غير موسر تحايل علي ادراك مآربه بما لا تحمد عاقبته وترك زوجته الشقية في البيت مطلقة أدبيا على ذمته ظاهرياً وكانت تغنيه عن كل ذلك زوجة حائزة لجانب من المعارف وطرف من التربية جامعة لما تفرق من المزايا

هذا ونقول ان المعترض علي تربية البنات اما انه لم يطرق سمعه قوله جل شأنه (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ولم ترتق قواه العقلية فهو لا يدري مزية ارتقائها في البنات واما ان يكون جاهلا ميالا للاستبداد فيكره ان تعرف المرأة وهو جاهل اوان تتأدب وتتهذب فتكسر سورة استبداده ويعلو عليه سلطانها

قال فكتور كوزن وهو من فحول فلاسفة الفرنساويين (للمرأة كالرجل نفس ناطقة ووجود ادبي وكما يسئل تسئل عن تهذيب قواها العقلية وترقيتها ومن البلية والعار ان يحقر كلاهما هذه المواهب الربانية

يهملنا

و يهملها فياعجبا اما يجب على النساء ان يعرفن دينهن ليعملن به و يعاملن بموجبه كالمخلوقات العاقلة الحرة وقصارى الامر اما أن المرأة لم تخلق لتكون قرينة للرجل واما ان من يحظر عليها المعارف التي تؤهلها لمخالطة زوجها مخالطة عقلية يناقض نفسه مناقضة مبنية على هضم حقوق المرأة وسخافة رأيه فلماذا اذاً انترك عقلها بدون غذاء وروحها بدون نور وحريتها مطلقة بدون حد نقف عنده وعلى أي مستند نستند في حظر المعارف عليها فلنساعدها على ترقية عقلها وتهذيب نفسها بجميل المعارف وشريف الآداب بشرط ان تجعل نصب عينها دائما ناموس جنسها وهو الحياء الذي هو بهاؤها وحسنها) و رب معترض اخر يقول هل ربينا فتياتنا فاحسنا تربيتهم حتي نسعي في تربية فتياتنا وهي المرتبة الثانية ودون الأولى في الاهمية فنجيبه ان تربية البنين مرتبطة بتربية الأمهات ولا تحسن الأولى مادامت الثانية مختلة النظام فان للأم شأنا من الاهمية بمكان عظيم في تربية الطفل فاذا حسنت تربية الأمهات لا تلبث ان تحسن تربية الولد تبعا لها

وبما انا طالما حاولنا انواع الاصلاحات فلم نر من النتائج الا ما هو دون المأمول فلنسع برا بالولدات في اصلاح تربية البنات وترشيحهن للقيام بواجباتهن احسن قيام لعلنا ندرك الغاية المقصودة

قال جامس ميل (التربية هي ان يصوغ الانسان من الانسان بقدر الامكان آلة سعادة له ولابناء نوعه) وهو كلام جدير بالاعتبار فلماذا لانصوغ من المرأة آلة سعادة لنفسها ولمن حولها وانا لانطالب البنات بما نطالب به الصبيان من المعارف ولانريد ان يخرجن عن دائرتهن فنقف حركة المنزل انما نريد ان يفقهن في ديانتهن ويتأدبن بما فيها من الحكم الباهرة لحصولهن على مالايخفى بتمسكهن بالدين ولايكون ذلك الا بالدرس ويقفن على جانب من الادب ليصلحن تهذيب اولادهن وطرف من قانون الصحة علما وعملا ليقتدرن على دفع مايلم بالاطفال من الامراض التي يكفي لدفعها الالمام بطرف يسير من علم الصحة ويستفحل امرها لوتركت لعلاج الصدفة ويتعلمن الكيمياء المنزلية وجانبا من الحساب ليصلحن الطبخ وغسل الثياب وينظفن اثاث المنزل بما ينظف به ويعرفن الدخل والمنصرف في المنزل بواسطة الحساب والأعمال المنزلية كالخياطة والقصر والطبخ ونقف بهن عند هذا الحد لتكون المرأة صالحة لسياسية بنيها وبيتها

تأثير التعليم والتربية

من العوامل المؤثرة في ارتقاء الهيئات الاجتماعية التربية والتعليم ونروم بالتربية هنا تهذيب الطباع وتقويم الاخلاق

وبالتعليم تثقيف القوي العاقلة وتحليتها بالمعارف وكما أنهما يؤثران في ارتقاء الهيئات الاجتماعية يوثران في الفرد فينوعانه تنويعا كلياً اذا عملا في عدة اعقاب من اصوله المتناسل عنها فالتربية تؤثر في العواطف والتعليم يؤثر في القوى العقلية ولم تعزب اهميتهما عن افكار المشرعين والحكماء في جميع البلاد من ابتداء ليكورج وافلاطون الغاية فلاسفة هذا العصر وكبار رجال السياسة الذين يطلبون سعادة البلاد وكرامة الأمم قال ليبنتز وهو من كبار فلاسفة قرن الثامن عشر (سلموني مقاليد التربية وانا أغير هيئة اوروبا قبل مرور قرن) على انا وان كنا نعترف للتربية بتأثير ثابت فلا يمنعنا ذلك من القول بان لهذا التأثير حدا معلوما لا يتجاوزه اذا عمل في الامة قرنا واحدا ومن الممكن ان تغير التربية هيئة الامة ولكن ذلك من الغايات التي لا تدرك في مدة قرن كما ذهب اليه ليبنتز اذ لابد لتأثيرها من ان يتراكم في الافراد بطريق الوراثة حتى يكون فعالا ولا يتم ذلك الا في عدة قرن

فلا يعزب عن فكر القارئ ان التربية وان كانت تحت سلطاننا من دون العوامل القوية في ارتقاء الامة لكنها في ابتداء عملها تصادف عوامل اقوى منها قد اثرت قبلها بامد عظيم على الانسان فاستفحل امرها فان في ماضي الانسان الذي انطبعت

فيه آثار السلف عثرة في طريق التربية تحول بينها وبين الغرض الذي تسعي اليه اللهم إلا اذا تراكم تأثيرها في الافراد بطريق الوارثة في عدة قرون ويظهر ذلك جليا اذا كان الغرض تنويع العواطف الوراثية للأُمة اعني جبلتها فثمت ترى قوة التربية ضعيفة واهية قال ليبنتز (ان في المائة من الرجال تسعين صالحين اوطالحين نافعين اومضرين بالهيئة الاجتماعية بما تلقوه من التعاليم وان الفرق الجسيم الذي بينهم مرتبط بقوة التربية وتأثيرها فيهم) وانا نسلم بعض التسليم ان في المائة تسعين نافعين للجمعية اومضرين بها ولكن لا نسلم اصلا ان في المائة تسعين صالحين اوطالحين بتعاليمهم فان الجزم بان الفرق بين الافراد مرتبط بتربيتهم فقط موجب لانكار ماللعواطف من الشأن المهم في سلوك الانسان وانكار الطريقة التي تنتقل بها هذه العواطف بطريق الوارثة فمن الضروري ان نبين جليا حدود تأثير التربية في الهيئة الاجتماعية حتى لا ينخدع القارئ بقوتها فينسب لها ماليس في طاقتها من الفعل لانه كثيرا ماطرق مسمعه ان الجهالة رأس كل رذيلة و يتقرر ذلك عنده بما يثبته له الاحصاء من ان معظم الجناة هم من الجهلة على انه لو تأمل وأعمل الروية قليلاً لرأي ان هذه اتفاقات علاقتها عرضية اذلاشك في ان المتعلمين ارباب الرذائل يقارفون آثاما وجنايات

لا تقع تحت طائلة القانون كما تقع جنايات الجهلة ارباب الرذائل فان التعليم من الوسائل المساعدة للمتعلمين ارباب الرذائل على ارتكاب جنايات قلما تجد القوانين سبيلا لمعاقبة مرتكبيها اذ المتعلم المفسد لا يتخذ كالجاهل المفسد السطو وقطع الطريق لاستسلاب اموال المسافرين حرفة له بل انه يتعاطى من اعمال التدليس والمخاتلة والغش كل ما به يأمن الخطر ويتقي عاديات الشر والحقيقة ان العملين متكافئان ادبيا وان كان الاحصاء لا يقيد في سجل الجناة الا الجهلة المفسدين على ان البعض قد يكون سامي الادراك غزير المادة متوقد الذكاء ولكنه من الحيثية الادبية عريق في الخبث والفجور

تقرر لك مما سبق انه لا يلزم اعتبار التربية والتعليم كآلات سحر قادرة على تحويل ما في الانسان من العواطف التي هي من ودائع الفطرة فيه ومصداق ذلك ما تراه من تباين الاطوار وتغاير الاخلاق في الاشخاص الذين تلقنوا تربية واحدة وتعليما واحدا وقصارى الامر انه لكي يكون تأثير التربية والتعليم فعالا حقيقة لا بد من ان يعمل في عدة أعقاب متوالية من الامة وسبب كونهما لا يحولان الانسان الا بعد ان يؤثرا فيه زمنا طويلا ظاهر من انه لا يوجد منهج تربية يرفع بسرعة مكانة الامم المنحطة ويجعلها في درجة تعادل

درجة الامم المرتقية

بقي علينا ان نبين الفرق بين التربية التي موضوعها تقويم العواطف والتعليم الذى موضوعه تثقيف القوى العاقلة وترقيتها وماهي العلاقه التي بينهما فنقول

قد يراد بالتربية عند بعض الباحثين تثقيف جميع القوى عقلية اوادبية وهنا يعتبر أن التعليم فرع من فروع التربيـة وبعضهم يفردهما ومن هذا البعض فريق يذهب الى ان التعليم يرقي القوى العقلية والادبية معا ولنذكر لك آراء الفريقين ونبتدئ باراء بعض رجال الفريق الاول قال هربرا سبنسر (من العبث ان ينتظر الانسان من تثقيف قواه العقلية ترقية قواه الادبية وتهذيب نفسه وقوة ارادته ومعلوم ان حسن ادب الانسان وسوء أدبه مرتبطان بارتقاء اصل عنصره اوانحطاطه وتأثير تربية القوى العقلية بمعزل عن تهذيب الطبع ونوال الادب الصحيح فانا نري كثيرين ممن تحصلوا علي جانب عظيم من المعارف ارباب شر وفساد لاتثنيهم معارفهم عن المخاتله والخداع ولايزجرهم علمهم عن ارتكاب الدنيئات وغرس جراثيم الشقاق بيد النفاق وكثيرا مانري بين الجهلة الذين لم يحرزوا شيئاً من العلم ولم يدخلوا المدارس افرادا علي جانب من حسن الادب والاستقامة يميلون للخير وفعل الصالحات وان الاستقامة

وكرامة

وكرامة العواطف اهم شيء يطلب في الحياة وينجم عنهما من عظائم الامور وجليل النتائج في سلوك الانسان واعماله ما لا ينجم عن ارتقاء القوى العقلية ونمائها

اما رجال الفريق الثاني القائلون بان التعليم وحده يرقي القوي العقلية والادبية معا فيذهبون الى انه بترقية قوى الانسان العقلية وتثقيفها بقدر الامكان تشرف نفسه وتحسن طبيعته قال بعضهم لاشك اننا بتكثير المدارس وتعميم التعليم نسعي في عظمة وطننا واعلاء كلمته وتحسين احواله بترشيح رجال يقومون بمصالح البلاد باخلاص واستقامة فببث المعارف وترقية عقول الافراد يقل عداد الذين يعثون في الارض الفساد ويكدرون صفو الراحة باعمالهم الذميمة وبالجملة فالمعارف هي الكفيلة بسيادة الامة ووفور قوتها المادية والادبية وبلوغها درجة الكمالات اللازمة للافراد لتسديدهم لامورهم واعمالهم

✻ تأثير القوي العقلية ✻

من يتأمل فيما للنتائج الناجمة عن الاكتشافات العلمية من جليل الأهمية وعظيم الأثر في الحضارة والعمران يري ان من ذهب من كبار الفلاسفة كأوجست كونت وبوكل وغيرهما الى ان ارتقاء القوى العاقلة هو السبب الوحيد في ارتقاء الهيئات

الاجتماعية وتقدمها قد اذهلتهم هـذه النتائج ولم تستلفتهم أهميتها لغيرها فضربوا صفحا عن اهمية العوامل الأخري التي ينشأ حتماً عن تلازمها ارتقاء الهيئات وتقدمها ونسبوا ماهو مسبب عن عدة عوامل لذلك العامل الواحد وأنا وان كنا لا ننكر ماللقوى العقلية من الأثر في ارتقـاء الهيئـة الاجتماعية فـلا نذهب مذهب اوجست كونت القائل بان ارتقاء اوروبا مرتبط بارتقاء قوى افرادها العقلية وتهالكهم فى طلب المعارف وان تأثير هذه القوى ارجح من غيره في ارتقاء الجمعية وذلك لوجهين الأول ان ارتقاء القوى العقلية ليس سببا بل انه مسبب والمسبب اذا صار سببا فلا يكون من الأهمية بتلك المكانة في ارتقاء الجمعية كما ذهب اليه هذا الفليسوف . الثاني انها يترتب علي كون الأمم المتساوية من حيثية القوي العقلية ان تكون متساوية من حيثية التمدن مع ان الواقع خلاف ذلك ومع اننا لا ننكر ان الاكتشافات العلميـة وما ينجم عنها من تقدم الصناعات الناشئة عن حركة القوى العقلية تغير الانسان علي ممر الازمان وتنتقل به من حالة الى ارقي منها شيئاً فشيئا بما تحدثه في احوال معاشه من التغيير ولكن لايتهيأ ذلك الا اذا تراكمت هذه التغييرات بطريق الوراثة في عدة اعقاب متوالية من الأمة وتحولت بسببها عواطف الافراد فثمت يقال ان

ان

ان القوى العقلية سبب هذه التحولات ولكن بواسطة ومن يتصفح كتب التاريخ ويرى ان كبار الرجال الذين ذاع صيتهم وطار مجدهم ما أتوا عظائم الأمور الا بقوة عواطفهم لا بعلو مداركهم وان عظماء الرومانيين الذين بهم عظمت رومة وقويت شوكتها وعلت كلمتها ما اشتهروا الا بعواطف الشجاعة والاقدام وتوقد الحمية والغيرة على بلادهم لا بارتقاء قواهم العقلية وان العرب ما بلغت الغاية التي ادركتها والمكانة السعيدة التي نالتها من العزة والمنعة الا بما اودع في افرادها من عواطف النخوة والارتياح لاعلاء الكلمة وان الرومانيين لما اختل نظامهم وفسد امرهم وهبطوا عن شريف مرتبتهم كانوا ارقى ادراكا واغزر مادة في العلم منهم في ايام مجدهم وشوكتهم ولكنهم كانوا قد تجردوا عن شريف العواطف وكريم السجايا التي كانت من اكبر اسباب عظمتهم وكرامتهم يجزم بصدق ماقدمناه ولا يرجح تأثير القوي العقلية على غيره من العوامل المؤثرة في ارتقاء الأمم وسوددها · هذا ولا يصرف ذلك همتك أيها القاريء عن السعى الى ارتقاء القوي العقلية والكد في تحصيل العلوم لسمو غايتها فانها توصل العقل لأشرف غاياته وهو الوقوف على الحقائق وبها تنشر الافكار السليمة في الأمم على اختلاف طبقاتها فيخرج الانسان من ربقة الأوهام الفاسدة

والاضاليل الباطلة والشهوات السافلة ويتغلب عليها فهي بذلك تساعد علي تمدن الأُمم وتقدمها في الحضارة وتستحق عناية كل حكومة بارة ترغب في تأسيس دعائم شوكتها على خير الافراد وسعادتهم

التربية والمدارس الابتدائية

غرضنا في هذا المقام البحث مع حضرات اساتذة المدارس عن الوسائل التي بها توجه خواطر التلامذة للاستعدادات الكريمة والعوائد المحمودة والاعتصام بالمبادئ الشريفة في احوالهم وافعالهم حتى تظهر نتيجة تربيتهم فقد مضى علي مدارسنا عاملة زهاء السنين عاما وفي غضونها كنا نطالبها ولا نزال نطالبها بسعاد البلاد ورفاهة الافراد

وانا نشكرها جميل الشكر فقد لبت طلبنا واستجابت دعاءنا بما انتجته لنا من ابنائها القائمين بمصالح البلاد خير قيام ولكن هناك امر نستلفت اليه نظر حكومتنا السنية الساعية في خير البلاد وسعادتها وهو تكثير عدد المدارس وتعميم المعارف فان عدد التلامذة اقل من القليل في جانب مايلزم لستة ملايين من النفوس ويظهر ذلك جليا لو قارناً بين عدد التلامذة في البلاد المتمدنة كالمانيا وفرنسا وانكلترا بالنسبة لسكانها وبين عدد التلامذة

عندنا بالنسبة للسكان فليس بخاف ان المال المنصرف في ترقية شأن المعارف وتنوير عقول افراد الأمة ثروة محفوظة في البلاد و يستحيل هذا المال من ثروة مادية الي ثروة ادبية ليست اقل اهمية في اعلاء كلمة الأمة وكرامتها عن الثروة المادية هذا وما نستلفت اليه الانظار أمر تقويم الاخلاق فبه تحيا الافراد حياة طيبة وتعرف قدر الحياة ومزاياها ولا سبيل الى ذلك الا بالتربية الأدبية وان ذهب بعض الباحثين الى ان التربية الادبية بالمدرسة قلما تعود بالفائدة المقصودة لان مذهبهم ان من طاب عنصره لايتوقف اتيان الخير لديه على هذه التربية كما ان من ساءت اخلاقه لايتوقف اتيان الشر لديه على عدم التربية الادبية وهم في مذهبهم هذا بعيدون عن الحقيقة بمراحل دون اجتيازها شيب الغراب نعم انا نعترف ان الكلام لايكفي لتنويع استعدادات الاطفال اذا وجدوا في ظروف تؤثر فيهم بضد تأثير هذا الكلام فانك ان نصحت التلميذ بحب العمل واضعفت ارادته في آن واحد فقد اخطأت المرمى وطلبت مالا يدرك من الغايات ولكن اذا وجهت الكلام والفعل لغرض واحد بان قومت قوى الاطفال الادبية ودربتها ونورت عقولهم في آن واحد فقد اصبت الغرض ونلت نتيجة ماتبذله من المجهودات اذ من أجل مبادئ التربية بل من

اسمى قوانينها ان القوي كالاعضاء تنمو بالتمرين والتدربة فاذا كانت خفة الاصابع و سرعة حركاتها وحاسة السمع عند المشتغلين بالموسيقى والقوى الجسدية عند الحمالين وقوة الساقين عند المشاة من العساكر وملكة الكتابة عند الكتبة وقوة التفكر عند الفلاسفة ورجال السياسة تنمو بالتدربة وترتقى الي درجة سامية فلا شك ان القوي الادبية تنمو وترتقي عند كل انسان بما اودع فيها من قابلية النمو والارتقاء . هذا ولو اردنا ان نقف على العناية المنصرفة بمدارسنا في تدربة قوى التلامذة الادبية لوجدناها وبعض الحق مرّ قوله اقلّ من القليل

فالابتدائية منها تتلقي الصبي (بل تتلقي حياة مستقبل أَلامة) اذا ناهز الثامنة من عمره فيتحصل فيها على مالم يكن عنده قبل دخوله فيها من العلم ولكن لسوء البخت لا تتوجه خواطر المعلمين لتقويم مجموع قوى الصبي بل انهم لايلتفتون البتة الا لتقويم قواه العقلية وياليت هذا الالتفات يشمل كافة تلك القوي بل انه في الغالب يقتصر علي واحدة منهاوهي الحافظة ويلقون عليها التعاريف العسرة الفهم وقلما يبذلون العناية لتدربة القوة الحاكمة وربط تجارب التلميذ بمواد دروسه وبالجملة فاعتماد المعلمين علي تقويم القوة الحافظة دون غيرها من العوائد التي تولدت فيهم من التربية

التي تلقوها في الكتاب وربما كان ذلك هو السبب في تعطيل باقي القوي وعدم ارتقائها عند بعض من تربوا بالمدارس واني اعرف انسانا كان في المدرسة لا يلتفت الا لحفظ دروسه وكان تعطيل قواه ضعيفا فيما لا يحتاج لحفظ من الدروس وكان لا يمكنه دون أكفائه الاتيان بما يدل علي ارتقاء قوته الحاكمة حتي انه كان اذا اعطى رأيه في امر ماسخر به اخوانه وما ذلك الا لاقتصاره على تدربة القوي الحافظة

هذا ولقد اصاب من قال ان المدرسة هي اجل اكتشاف اكتشفه الانسان وعملها أجل عمل ولكن لحسن قيامها بهذا العمل لابد للمعلمين من ان يعلموا ان الصبي الذي يلحق بها ليس كائنا ساذجا أو عقلا محضا يلقن المعارف العرضية العارية عن اللذة بل انه كائن متضاعف التركيب اجتمعت فيه قوى شتي وهو عقل وجسم معا ولا يجمل بنا ان نهمل الجسم كما انه لا يحسن بنا ان نهمل العقل بل يجب علينا ان نوفيهما حقهما من العناية والتقويم فلا يعزب عن فكرة المطالع ان الولد في السن الذي يلحق به في المدرسة ميال لكل ما يمال به اليه وان جسمه مفتقر للحركة والعمل قابل للنماء والقوة والتعادل فحظر الحركة عليه واضطراره الي السكون واستسلامه للضعف وهو يود ان يكون آلة عمل لكل

حياته تقصير في تادية أجل الواجبات ومثل من يأتي ذلك من المعلمين كمثل من يسلم للجندي سلاحا جيد الجوهر مرهف الحد وهو جبان النفس ضعيف الجاش فيضيع بجبنه فضيلة السلاح واخراج التلامذة من المدارس ضعفاء مصابين بالانيماء عصبيين ليس اجحافا بحق الصبي وحطة في شأن المدارس فقط بل ذلك من أشد المضار على الهيئة الاجتماعية ولا يقتصر ضرر هذا الاجحاف على حق جسد الصبي عليه بل انه يتعدى الى اخلاقه فقد ثبت انه ينتج في الغالب عن عدم تعادل المراكز العصبية ضعف العزائم واختلال الارادة وتهيج احساسات مرضية ورجحان بعض الحواس على البعض الآخر رجحانا غير طبيعي وعلى ذلك فلدفع تلك الآفات لابد من الاهتمام بالتربية الجسدية في المدارس الابتدائية واعتبارها اساسا للتربية الادبية وينبغي لمعلمي المدارس ان يجعلوا نصب اعينهم ان الصبي الذي يلحق بالمدرسة ليس عقلا محضا بل فيه من ودائع الفطرة عواطف وحب فهو يحب أهله وعشيرته فلا يحسن ان تكون المدرسة قبرا لدفن تلك الحياة الأدبية المنبعثة فيه عن عائلته فقد قضت عليه الطبيعة بهذه العواطف وعلقت بها عواطف أخري وربطت بها افكارا ذات شأن مهم في سلوك الانسان فان الصبي ينتقل من حب أبويه المدنيين به له صغيرا الي

حبه لهما المدين به كبيرا وبذلك يعلم ان الأول يستدعي الثاني وبين الحبين تلازم وان مقابلة والديه بخلوص القلب علي اخلاصهما له هي شكر بل قضاء دين لازم الوفاء وحق واجب الأداء وعمل بموجب أجل مبدأ وهو ان الانسان يجب ان يؤدى ما هو مدين به ومطالب بوفائه

فيجب حتماً على المعلمين ان يقووا في قلوب التلامذة الاستعدادات الجميلة التي تعود عليهم بالمنفعة في مستقبل امرهم وليعلموا ان الصبي معرض لكثير من الاخطار الادبية اذا ادرك سن الرجولية ولا يقوى عليها ويقهرها الا بمقدار ماينبعث فيه من العواطف اللطيفة التي تسلك به مسلك الكرامة وتصونه عن الدنايا ويكتسب لطف هذه العواطف من معيشته بين أبويه اذ الصبي اذا عرف صغيرا مكانة الأم والأخت والجدة ومكث علي عهد التشكر الذي استوجبه حبهن اليه لا يرجع عما اعتاد عليه في مبدء أمره من تقدير المرأة حق قدرها وما شب عليه من احترام الأهل الذى هو أقوي دليل على لطف العواطف فيجمل بالمعلمين ان يبذلوا دقيق العناية ومزيد الالتفات في تقويم تلك العواطف التي تتولد في الطفل من بيت ابيه لانا نشاهد ان الصبي اذا ألحق بالمدرسة رأى المعلمون ان مانيطوا به من تقويم قواه

العقلية أمر سهل وان التعليم هو طريقهم التى طرقوها فما عليهم
الا دروس يؤدونها وتعاليم يوصلونها وبدلا عن كونهم يراعون درجة
عقل الصبي ويجيبونه علي مايسألهم عنه بعبارة ملائمة لدرجة قواه
العقلية يقابلونه بأحد امرين اما بعدم اجابته عن السؤال الذي
وجهه او يجيبونه عما سأل عنه بعبارة معجزة لمدركته فاذا سأل
التلميذ المعلم كما يقع ذلك غالبا عن ثمرة العلم وفائدته اجابه بشرح
بعض قواعده دون ان يأتى بعبارة تفيده الفائدة المطلوبة واتذكر
اني زرت مدرسة من المداس الحرة وكان اذ ذاك معلم النحو
يلقى الدرس الأول على التلامذة فسمعت تلميذا من المبتدئين
يسأل المعلم عن فائدة النحو وثمرته فما كان من المعلم الا ان فاجأه بما
في البسملة من اوجه الاعراب ثم اعقب بذكر ماينطبق عليها من
العلوم الاخر ودخل في ذكر العوامل اللفظية والمعنوية وبينما هو
كذلك اذ أخذ التلميذ يتثاءب وقد ادركه الضجر والملل ولما شاهد
ماعليه التلميذ من السآمة عاقبه باعراب مافي البسملة من الاوجه
الاعرابية ولا شك ان التلميذ الذى يصادف معلما مثل ذلك يخرج
من ابواب النحو بل من ابواب الحياة كيوم دخوله من باب
اول مدرسة الحق بها ويصير مثل هذا التلميذ السيئ البخت في المدرسة
كمثل ذلك السائح الذي ضل طريقه في صحراء متسعة مجدبة وادركه

الجوع واشتد به ألمه فابتهل الي الله ان يرزقه مايسد به رمقه وبينما هو سائر اذ عثر بجراب فتناوله وجسه وظن ان فيه تمرا فبدت عليه علائم السرور والفرح فاسرع بفتحه فوجد فيه جواهر واحجارا ثمينة فالقاه وقال ويلي ماذا تفيدني الآن هذه الاحجار والجواهر الثمينة وسار في طريقه وهو يتضور جوعا

فعقل الصبي لاينال من فرائد بعض المعلمين وعباراتهم الطنانة الأمثل مانال هذا السائح الجائع من جراب الجواهر الذي عثر به وحقيقة فان الغذاء الذي يقدم لعقل الصبي لايفيده فائدة مهمة لانه غير ملائم له فبسوء تغذيته وسآمته من غذاء عسر الهضم خال عن الجواهر الغذائية لايتقوى ولا ينمو بنسبة مايقدم له من غزير الغذاء ولا يعي مايلقي عليه ولا تتكون قوته الحاكمة ولا تساعده العقليات العالية التي لم تتمثل فيه على تمييز الحقائق الثابتة من الأمور الوهمية وهو بذلك بعيد عن احراز القوي التي كان يحرزها من تعليم ملائم لحاجاته

وهذه القوي التي هي عبارة عن قوة المشاهدة وتجمع الفكر والاستنباط وهي نتيجة الدراسة التي تستفاد منها لا توجد عند من لم تقوم مدركتهم بطريقة شافية وليس ضرر هؤلاء لكونهم يجهلون بل ضررهم لكونهم لايتسنى لهم ان يتعلموا او يفهموا ولا يتأتي لهم

ان يجاروا الظروف ويستفيدوا فائدة من سير قوانين الطبيعة وهو استعداد عقلي مضر يسوق في الغالب الي سوء الحال وقد يقع فيه جم غفير من الصبيان بالطريقة التي يعلمون بها

والاجدر بهؤلاء المعلمين ان لايلقوا على تلامذتهم من الدروس الا ما كان مناسباً لحالة عقولهم . اما قوة النشاط وتوجه الارادة للعمل وهي اشرف وافضل جميع القوي فقلما يهتم بتحريكها واستنهاضها في الصبيان فقد يلحق الصبي بالمدرسة وفيه من الاستعدادات الفطرية مايساعدعلي تقويم هذه القوى عنده وتنميتها فمن هذه الاستعدادات حب التقليد وهو من اجل الوسائل لتقويم قوة العزم عند الصبي وحب بذل المجهود والشجاعة وهي صفات محمودة وسجاياطيبة ولكن يضرب صفحا عن هذه الاستعدادات الفطرية ويكتفى بتعليمه القراءة والكتابة وشيئا من المعلوم

على ان غاية التربية التي تسعي اليها هي ان تكون كافة قوي الصبى عاملة على اختلاف انواعها كالقوة الجسدية التي تقيه من الانيميا والاسترسال في الشهوات البهيمية وتحفظه من الجبن النفساني وتهيئ له من جسمه آلة سهلة الانقياد قوية مادام حياً وقوة التعود على العمل التي تثنيه عن مخالطة اهل الفراغ واللهو وتنزع به عن مقارفة الرذائل الموبقة وتبعث في قلبه ذلك الفرح الذى يدركه

من

من يرى نفسه عضوا نافعا في الجمعية وقوة الميل لطلب العلوم الحقة التي تشف له عن الحقائق الطبيعية الدامغة وما تتجلى به هذه الحقائق من العلل والقوانين وقوة التمسك بعواطف البر بالوالدين والاهل وهي مبدأ الاخلاق الفاضلة ومدعاة للتخلق بها

وهذه القوي ليست كلها من الاهمية بمكانة واحدة بل منها قوي رفيعة بها يرتبط الانسان بالانسانية ويخدمها ويعمل في ارتقائها واخري منحطة الدرجة غايتها استمرار النوع وحفظه فمن الاولي القوي المدركة والقوي المستنبطة والاميال الكريمة ومن الثانية شهوة الطعام وهناك قوي اخري لاحاجة بنا لشرحها في هذا المقام قد تكون تارة من القوي الرفيعة وآونة تكون من المنحطة الدرجة انما يهمني هنا ان اذكر تأثير كل من القوى الرفيعة والمنحطة في بعضهما وما تدفعه القوي المنحطة من العوائق في طريق القوي الرفيعة لتمنعها عن التقدم في الارتقاء ولاضرب لك مثلاً فاقول

كثيرا ماترى بعض اشجار ذات ضخامة في جزعها غير ملائمة لهيئة الشجرة وليست هذه الضخامة الا نتيجة انصباب العصارة في الجزع ووقوفها وعدم سيرها في الاوعية سيرا منتظماً وهكذا يكون تشوه بعض الاعضاء وعدم تناسبها في بعض الاشخاص ناشئا عن عدم سير المواد المغذية سيراً معتدلا ولاشك ان التشوهات

الادبية واعني بها الرذائل لامنشأ لها غير عدم الاعتدال في الاستعدادات الفطرية فليست رذيلة النهم والسكر والفجور مثلاً ناشئة الاعن نمو بعض الاستعدادات التي لها شأن في حياة الانسان المتضاعفة التركيب فلما تحولت عن غايتها صارت ذات شأن مغاير للأول فان النهم والمعاقر للخمر لكي يوصلا لبعض حملات الغشأ المخاطي مؤثرات تلتذ بها يغفلان عن اعظم واجباتهما مما يجب عليهما لقواهما الرفيعة من العناية والالتفات ويزيدان كل يوم بحكم العادة عليهما في التشويه الادبي الذى يذهب بزهرة حياتهما ومزاياها وينميان بعض الاميال نمية زائدة بقدر مايضعفان المدركة والعواطف الكريمة لان القوة الحيوية بدل ان تتجه نحو القوي الرفيعة تقف وتقتصر على القوي المنحطة ومثلها في ذلك كمثل العصارة السابقة الذكر التي عوضاً عن كونها اتجهت نحو اغصان الشجرة فصيرتها نضرة قوية وقفت في جذعها فاحدثت فيه ضخامة وتشويها

وحسب من يبغي الوقوف علي اهمية تربية شافية ان يتأمل فيما ينشأ عن الرذائل من المضار الموبقة للحياة الفردية والاجتماعية فان هذه الرذائل هي اسباب جميع مصائب النوع البشري وهي ناشئة عن سوء التربية الاولية وانت خبير بأن الصبي اذا وجد في وسط

ينمي عنده حب اللذات البدنية بدون ان يكون هناك مرشد ينزع به عن الانهماك فيها فان غريزته تتغلب عليه وتسوقه الي التقصير في اداء الواجبات صغيرا ثم تضطره الى ارتكاب هذا التقصير كبيرا هذا وان المعلم اذا القي علي الصبي عويص المسائل التي لايميل اليها ولايألفها لعدم استعداده لادراكها عوضاً عن ان يحرك ميله لكل مايرتاح اليه لاينتهي ذلك بسقم مدركته وموت ذكائه فقط بل ان في هذا الأمر مدعاة لفساد الاخلاق حيث ان الشهوات تكون بالمرصاد للصبي تنتهز فرصة خلو دماغه عن العمل وقصوره عن ادراك تلك المسائل وتشغل حواسه وتتملكها وبالجملة فان سوء التربية لايذهب بحركة العقل ونشاطه فقط بل يولد الغرائز الدنيئة ويذهب بقوة عقول الصبيان فتذعن بما لحقها من الضعف لسلطان الشهوات وهذه هي اسباب عدم النجاح في هذه الحياة وانا لوتأملنا في اطوار بعض الشبان لتأكد لنا ان ضعف الارادة والعقل وكراهة بذل المجهودات من جهة وتسلطن الغرائز السافلة من جهة اخري من اكبر الاسباب في جعلهم ارباب كسل بعيدين عن الجدارة والاقتدار ولا يعزب عنك ان في كل انسان وحشا اذا الجمه سخره لنفسه واذا تركه واهمله قهره وافترسه ولا توجد اغلال لقمعه وتذليله الاَّ ماتصوغها التربية السديدة المتوجهة لتقويم اخلاق

الصبي وترقية قواه مع مراعاة التناسب والتدريج فاذا عمت التربية بالوجه السالف الذكر تساعد على تحقيق اجلّ آمال الباحثين في التربية قال (كانت) مما لا يخطر بحسبان الانسان سمو المكانة التي تبلغها الطبيعة البشرية من الكمالات اذا جعلت وجهة التربية بلوغ الصبي درجة ارقي من الدرجة التي عليها الهيئة الاجتماعية الآن

وانا نوافق (كانت) ونقول ان التربيـة اذا اتجهت لتقويم استعدادات الافراد وترقية قواهم الادبية لكانت اعظم كفيل برفع مرتبتهم وسعادة احوالهم

والتربية بالصفة التي نوهنا عنها تصير الصبي عند خروجه من المدرسة علي استعدادات غير التي نراه عليها الآن وتولد فيـه عوائد ادبية محمودة وهي نتيجة النزعة الطبيعية التي عني بحفظها فيه وتبعث فيه ملكة الادب والاعمال البارة فتلازم عواطف الحنان قلبـه واذا اعتـبر اقـرانه ـ في المدرسـة كاخوة له ومعلميـه كاحباب مخلصين له يحبون خيره ويسعون الي مصلحته وراي نفسه في المدرسة كأنه في عائلة ثانية فلا شك انه فيما بعد يري ان الناس الاخر خلا معلميه واقرانه هم ابناء وطنه واخوان له ويبذل همته وعنايته في خيرهم واذا الف الحقائق وقوّى عقله بالتفكر والدراسة فيقوي علي المغالط الشائعة والاوهام المتداولة ويساعد على نشر

الافكار السليمة السديدة واذا لينت عادة العمل عضلاته وزادت قوته فيظفر بلاعناء بالمصاعب التي يقابلها في طريق الحياة ويذللها ويصير عضوا نافعا في الجسم الاجتماعي ويساعد علي تسخير القوي الطبيعية لمصلحته ومصلحة غيره ومجمل القول ان الغاية المطلوبة من التربية السديدة هي توجيه الانسان لخدمة الانسان وخدمة الحقيقة من كافة الوجوه . هذا وكما انه توجد رابطة بين العواطف التي تتولد فى الصبي من العائلة وبين العالم الخارجي توجد كذلك رابطة بين عواطف الانسان وبين نظام الطبيعة ولكن قد يكون منظر الطبيعه والهيئة الاجتماعية غامضا مبهما لاسيما اذا كان من يتأمل في هذا المنظر غير مرشح له فهو بعيد عن الوقوف على معناه وادراك كنهه وفحواه فيقول الي اين مصير العالم وهل له غاية يسعي اليها وهل للطبيعة وجهة ادبية وهل قانونها هو ما نسميه بالخير وهي اسئلة كثيرا ما يوجهها لنفسه وقلما يهتدي للجواب عنها فليعلم ان انسان هذا العصر لم يدخل كالانسان القديم في عالم الطبيعة والهيئة الاجتماعية بحكم الصدفة وما القي علي وجه البسيطة العارية عارى البدن كما ذهب اليه خطأ بعض المؤرخين بل هناك عائلة تلقته وام باشرته وتربية تنتظره واخلاص نجاه غير مرة من الموت ونضر زهرة حياته المعرضة للذبول فهو يقابل هذه النعم التي لم يطلبها بعواطف الشكر

والولاء وقلبه وعقله يناجيانه بواجباته ويعرفانه الانصاف وهو مقابلة الحسنات بالحسنات ويجعلان البر والاخلاص غاية بغيته وعند ما تستولى هذه الافكار على عقله يتقلّص امامه ذلك الظلام الذي يحول بينه وبين اسرار هذا العالم وينقشع ذلك الضباب الذى يحجبه عن استكناه نواميس الطبيعة وهنالك يجزم بان الطبيعة تنهج في سيرها منهجا اديبا وان الحياة الاجتماعية خاضعة لناموس ادبي وان للمرء في حياته ثوابا وعقابا وليست الرذيلة شنيعة المنظر منفرة فقط بل ان من يقارفها يعاقب وهو الذى يعاقب نفسه عقابا شديدا وان النهم والفاسق مثلاً يعاقبان نفسهما على النهم والفسوق وأن من يخرم في شبابه الناموس الأدبي المسطر في القلب وفي نظام الطبيعة يناله شديد العقاب في صحته وعائلته وذريته قال أحد الكتبة الامريكانيين

تأمل في مابين من راعى قوانين الصحة ومن انتهك حرمتها واتبع جهلا اميال وشهواته من المغايرة والمباينة وهم كثيرون ترى الأول قوى البنية جيد الصحة ادرك الثمانين من عمره معتدل القامة ثابت القدم جيد الحواس وكل هذه شهادات تشهد بحسن سلوكه واعتداله أو القاب شرف قد اكرمته بها الطبيعة لمحافظته على قوانينها وبنيته القوية تشهدان دمه لم يتطرق اليه الفساد وفي عباراته الجلية وافكاره الواضحة أقوى دليل على ان دماغه لم يصبه التسمم الذي

يحصل عن المشروبات الروحية وبالجملة فانه يشرب كأس الحياة بدون ان يجد فيه عكراً ويتم حياة طيبة مباركة وينطفئ كمصباح نفد زيته

وأما الثاني فتخور قوته وهو في ريعان شبيبته ويصير جسمه مأوى العال والامراض وتبدو على وجهه علائم الانحطاط ويصاب بارتعاش عضلاته وتحني الطبيعة قامته لتنزع منه تلك الهيئة الشريفة التي خص بها الانسان وكأن الطبيعة تجعله على هذه الحالة السيئة تصيح بنا حذار حذار من اتباع الخطة التي سلكها ولاتسلكوا الا التي وجد فيها الاول الفرح والقوة والنشاط والشرف

﴿ التربية العقلية ﴾

مكانة الأمة مرتبطة بارتقاء قوي افرادها العقلية فتكون رفيعة الشأن منيعة العزة اذا كانت قوى افرادها العقلية نامية مرتقية وتكون خاملة الذكر ساقطة اذا لم ترتق قوى افرادها ولم تنل منزلتها من النمو ولا سبيل الى ترقي هذه القوي الا بمراعاة تربيتها وحث ركاب الطلب اليها ونروم بتربية القوى العقلية تهذيبها وتقويمها وطلب الوسائل التي بها يدفع مافيها من التفاوت في الفرد لا في الافراد

اما تهذيب هذه القوي وتقويمها فيكون بمراعاة نشأتها وعدم

مناجاتها بما لا تقوى عليه لان قوي العقل الفعالة في مبدء الامر تكون قليلة ثم تنمو تدريجا الي ان تقوم كلها بالعمل في آن واحد فينتج من ذلك انه يجب ان تراعى حالة القوى العقلية في مبدأ الأمر والاقتصار في التعليم علي بعض الفروع حتي اذا تهيأت هذه القوي واستعدت للاستزادة التي عليها الي ان يستوفي التعليم جميع الفروع التي يراد تلقينها

ومن أجمل المبادي لتقويم القوى العقلية ان يساعد النمو الذاتي وتمهد للصبي سبيل الابحاث ليبحث بنفسه ويستنبط نتائج ابحاثه

وان ينشط للاستقلال بنفسه في طلب الحقائق الا فيما لايستطيع الي ادراكه سبيلاً والنوع البشري لم يتقدم الا بتعلمه بنفسه وان نجاح الرجال الذين انساقوا بهادي ميلهم الي طلب العلم فنالوا منه الحظ الأوفر يثبت لنا جليا ان كل من يسعى الي نوال اجل الرغائب لامحيص له عن خوض عباب البحث والتنقيب على الحائق بنفسه ولكن قد ينكر ذلك بعض الناشئين بالمدرسة فيذهبون الي ان تربية القوي العاقلة من الغايات التي لا تدرك خارج ساحة الدرس وانه يستحيل جعل الصبي مرشدا لنفسه في طلب المعارف على انهم لو امعنوا النظر لرؤا ان الطفل يتحصل علي

المعارف الاساسية المهمة بدون مساعدة معلم ونريد بها معرفة الاشياء المحيطة به ولو تفكروا ان الطفل يتعلم الكلام بنفسه او وقفوا علي القدر الذي يحرزه الانسان من المشاهدات والتجارب والمعارف خارج المدرسة ورؤا ماعليه طلبة الأزهر من الدأب في فهم صعب العبارات وحل عويص المسائل كأنهم هم اساتذة انفسهم لوجدوا ان كل تلميذ يتسني له ان يقهر مايصادفه من المصاعب بدون مساعدة المعلم لو سيقت اليه مع حسن الترتيب وتمحيص العبارة ومن ذا الذى يشاهد بوادر الطفل في استنباطاته وملاحظاته في الاشياء التي تصل اليها قواه ولا يحكم بانه لو سوعدت هذه البوادر بطريقة دراسية جيدة تصل اليها قواه ايضا لافادته الغاية المطلوبة بدون مساعدة وحاجة الصبي لان يقال له كل شيء تتولد فيه عن سوء ملكتنا لا عن سوء ملكته لانا نحول بينه وبين مايرتاح اليه من المسائل التي يزاولها ويصرف همته في تمثيلها كما تمثل البنية الغذاء ونجذبه الى مالا يقوي عليه من صعاب المسائل فتنبو عنها مدركته وعند مانري انه لايفهم هذه المسائل ندخلها في عقله ونستنهضه الي فهمها بطريق التهديد والعقاب وبحرمانه من التي يزاولها ويرتاح اليها خاطره وحشو عقله بما لايسوغه ولايتصوره تضني قواه العاقلة وتقع في حالة مرضية يعقبها الضجر من الدرس

والملل من المطالعة وعند مايؤل امر التلميذ الي هذه الحالة ويضطره فتور عقله الذي جابناه عليه بسوء رويتنا الى عدم فهم شئ بدون ايضاحه والي ان يكون اشبه شيء بآنية قاصرة لافكارنا الذاتية نستنبط من ذلك ان التربية لا تصح الا على هذه الصورة وعند ماتحدث قصوره بمنهاجنا نتخذ هذا القصور ذريعة لاستمرار السير على هذا المنهاج وعدم العدول عنه الي غيره

ولبيان اسهل الطرق في علاج تفاوت القوي العاقلة نقول ان من يتأمل يرى ان جميع الناس خصوا بقوى متشابهة وان كانت متفاوتة ولئن كانوا متفاوتين من حيثية قوة الذاكرة وقوة التصور وقوة الانتباه مثلاً فلم ير للآن احد مجردا عنها بالكلية نعم قد يخص بعضهم من هذه القوي بدرجة سامية والبعض الآخر بدرجة متحطة

وليس قصدنا الآن في عبارتنا هذه البحث عن علل تباينها فيما بين الأفراد وانما نبحث عن اسباب تفاوتها في الفرد للوقوف على مايحتاج لتقوية فنقوّيه حتي لاتذهب قوة القوية منها بحاله التعادل التي تخول لكل واحدة منها نصيبها من العمل المنوطة به فان هذا التعادل اذا انعدم بان ضعفت الذاكرة عن غيرها فان العقل يخدع لحرمانه من دليل تجاربه بذكرى الحوادث الماضية واذا قويت

زيادة عن القوي الأخري اختبط العقل بين صور تذكاراته المتراكمة وشغل بما عنده عن التفكر في عظائم الأمور واذا قويت قوة التصور وحدها انهضت العقل وابعدته عن النظر والتأمل واذا ضعفت ابطأت سير الحركة العقلية واوقفت الانسان عند المشاهدات والتجارب العملية فيبعد بذلك عن الملاذ العقلية والوصول الي الاكتشافات التي تستدعي نهوض الهمة وسرعة الحركة الفكرية

وتعادل القوي في العقل كتعادل القوي في العالم المادى لما يترتب عليه من حفظ النظام بدون ان يعطل بعض القوى البعض الآخر

وكل قوة نمت عن الأخرى وعظمت حتي اوقفت سيرها اوقللته فهي بمثابة غاصب مستبد . فلسلامة العقل لابد من اطلاق حرية قواه علي السواء وعلي ذلك فمن اكبر واجبات المدارس ان تسعي في ايجاد المساواة والتعادل بين قوى التلامذة باعدام مبدأ التفاوت لما ينشأ عنه من جسيم المضار ومن المعلوم ان الاميال الادبية مباينة لبعضها فقوة الشجاعة مضادة للجبن النفساني وحسن الخلق مضاد لسوء الخلق وهكذا وليس في استطاعة التربية ان تضع قوة من هذه القوى الادبية محل الاخري وانما عليها ان توصل الانسان

لحالة يستطيع فيها ان يجعل قوة الشر خاضعة لسلطان الخير ويجعل للفضيلة حكماً علي الرذيلة واما القوي العقلية فتتفاوت قوة وضعفا وتوجد كلها عند الصبي وكلها نافعة وليس هناك مايقتضي كبح بعضها بل الواجب ان يعتني بمايضعف منها لايجاد ذلك التعادل والعقل اقرب للتقويم من الخلق

وكيف لانقول بامكان تقوية القوى العقليه اذا ضعفت عند الصبي اوجنحت للكسل وثابت ان الشيخ اذا حاول ذلك امكنه الوصول اليه

وان من يشتغل بحل المسائل الرياضية يقوي عقله وتزداد سرعة خاطره وان الذين يشتغلون بكثير من المسائل المتنوعة و يستعملون تارة الذا كرة وتارة قوة التصور تنمو عندهم القوة التي تستعمل بقدر تدربها في العمل وان الشاعر المطبوع اذا اشتغل بالحساب مدة فلايستطيع عقبها ان يأتي بقصيدة منسجمة حسب عادته بخلاف ما اذا راض قوة التخيل ووجهها لقرض الشعر فانه يأتى بالحسن المستملح من الشعر فاذا كانت هذه حالة الرجال فما بالك بصبيان لم تحكم عليهم العوائد بضد مانريده منهم مفوضين الينا امر تدبير وتدريب قوي لاتزال ضالة وماخضعت لارادتهم حتي توجهها كما تشأ وعلى ذلك فلامشاحة في تأثير التربية في القوي العقلية فاجدر

بالمعلم

بالمعلم انه اذا رآي قوة في صبي نمت وارتقت علي غيرها ان لا يأتيه بما يعطل سيرها لوجود التعادل المطلوب لانه ربما ترشح بها الي مقام سام ومكانة رفيعة يكون فيها من اعاظم الرجال الذين يعودون بجليل الفوائد على النوع الانساني بل عليه ان يتعهد القوى الاخرى بالتقويم لتنمو فتعادل تلك القوة او على الاقل تقرب منها

التربية الادبية

ان الغرض من انشأ المدارس عند الامم امران وهما ترقية القوي العقلية لافرادها وتربيتها الادبية فاذا انعدمت احداهما انعدمت الغاية وضاعت النتيجة وبحثنا الآن في المدرسة هل حازت هذه النتيجة مستكملة ام لا فنقول ان من يتأمل في المدرسة يراها موجهة غايه عنايتها واقصى بغيتها الي بعض الغرض وهو ترقية القوي العقلية ضاربة صفحا عن التربية الادبية وما ينجم عنها من شريف المزايا فيحكم قطعا بان عدم وصولها للغاية التي احدثت لاجلها مسبب عن صرف الهمة الي احد الامرين دون الاخر فان الركن المهم في تقدم الامم وهو تقويم الطباع وتكريم الاخلاق مغفول عنه ومعلوم ان ميل طباع افراد الامة للخفة والتراخي لاللرزانة والمضاء في الامور ناشي عن اهمال التربية الادبية وحب السرف والتأنق في المأكل والمشرب والتفاخر بالنزر اليسير من العلم والاكتفاء به اعتقادا ببلوغ غاية

الكمال وعدم التعاون في خدمة المصلحة العامة من اهمال التربية الادبية التي بها تهذيب الأخلاق وتقويمها وارتياح العواطف لحب الاختصاص المترتب عليه شره النفس وهو مدعاة للتباغض والتخاذل وموت للعصبية بين افراد الأمة من اهمال التربية الادبية

وعلى ذلك اذا اتبعت المدرسة هذه الخطة قاصرة عنايتها على تعليم العلوم استمرت بعيدة عن الغاية المقصودة منها . وانت خبير بان الاباء يسلمون ابناءهم للمدرسة وينفقون عليهم وجل مرادهم ان يتعلموا ويتربوا لكي يتأهلوا لمخالطة الجمعية وتبادل المنفعة فاقتصارها على تلقين العلوم دون بث التربية الادبية تقصير منها واجحاف بحقوق الآباء والابناء واجدر بالصبي اذا لم يهذب ضميره اثناء وجوده بالمدرسة باعتياده شريف الاخلاق صغيرا حتى ترسخ في نفسه كبيرا ان يترك الدرس ويهجر الرقاع ويكسر المحابر واليراع ويطلب مهنة تعود منها ثمرة عليه فذلك خير له من علم لم يقرن باخلاق صالحة وسجايا طيبة

وان الأمة التي تسعى الى سن اللوائح وتقرير البر وجرامات وانشاء المدارس واستحضار الادوات وشراء الكتب والآلات عملها باطل وحالها جائل اذا لم تقرن التعليم بالتربية وتقرر في

تعاليمها علم الأخلاق لترشح لخدمة بلادها رجالاً حظوا بالجانب الأوفر من التربية ونشأوا علي مبادئ صحيحة بها يعرفون واجباتهم فيحبسون العزم علي القيام بها وحقوقهم فيطلونها بدون ان يتجاوزوها ويعرفون وطنهم وما تعود منه عليهم من المزايا فيتحققون ان ابر عمل واجل خير له بذل صادق الهمة في اعلاء كلمته وعدم التفريط في اموره والتراخي في مصالحه وان عظمة الامة مرتبطة بقوة الاميال واتجاهها لخير الوطن

وعلم الأخلاق ليس من الامور الصعبة المنال بل من السهلة اووجهت اليه العناية فيجذب الصبي اليه اولا بصورة لطيفة قريبة المنال بان يلقي على مسامعه شرح بعض الآيات الشريفة وشيء من الاحاديث النبوية المشتملة علي مبادئ مكارم الاخلاق مما يبث فيه روح النزاهة بعبارة سهلة لا تنبو افهام الصبيان عن ادراكها حتي اذا ترقت ملكتهم الأدبية جاءهم مرة ثانية من طريق ذكر الاسباب الباعثة على فعل الخير مع مراعاة تباين الاميال ليتولد فيهم حب نفع الهيئة فاذا علم كمال قابليتهم واستعدادهم الي مافوق ذلك جاءهم بالامثال الفاضلة صادعا لهم بالحقائق فيتملك حواسهم وقواهم النفسية ويستنهض همتهم ويستحث عزيمتهم الي الاقتداء بما يكاشفون به فترسخ فيهم حينئذ الملكات الصالحة

ويستعان على ذلك بما في درس التاريخ من سير كبار الرجال وذكر عظائم الأمور لكي يعرفوا قوة النفس ومزاياها وانها من اجل الوسائل التي بها يتغلب الانسان على مصاعب الحياة ويقهرها فلا تحول بينه وبين غاية يحاولها وان ضعيف النفس اذا نزلت به نازلة افسدت فيه المبدأ المحرك الى العمل وأماتت منه بوادر الهمم فخارت قوته واحجم عن السعي الي ادراك غايته ونوال بغيته وان الأمة التي تتوجه اميال افرادها الي المصلحة الذاتية فتلهيهم عن خدمة بلادهم والتخلق بالفضائل الوطنية الحقة لا الظاهرية تضعف بينهم مسكة العصبية وتنفصم عراها فلا تلفت لحاجة البلاد ولا تكترث بها ولا تأخذهم عليها غيرة وباستحكام ذلك في الانفس تتفرق الكلمة فتهبط الأمة من اوج عزتها وتسقط عن شريف مرتبتها

ولا يعزب عن فكرة المطالع ان مبادرة القوى الادبية بالتربية ومطالبتها بالكلمات مضرة لها كمبادرة القوي العقلية لما في ذلك من اجهاد كلتيهما قبل تمام ارتقائهما والتبكير باجهادهما معطل للنمو وموقف لهما عن التقدم والارتقاء في المستقبل وفي ذلك مالا يخفي

قال (هير بيرا سبنسر) أحد كبار الفلاسفة المعاصرين

(قد

(قد دلت التجارب ان الصبيان الذين يشتهرون في صغرهم بالفطنة وسرعة الخاطر والاتيان بما يدل على ارتقاء قواهم الادبية من الأَعمال التى لا تصدر الا عن ذوي الكرامة من الرجال تستحيل حالهم بمجرد تقدمهم في السن ويؤل امرهم الى انحطاط القوي الادبية والعقلية وجمودها وان معظم الذين ذاع صيتهم كبارا كانوا في حداثتهم لا يستلفتون الا نظار لخمول ذكرهم بين اقرانهم

وحيث قد قضت الأَحوال بالغاء العقاب الجسدى في المدارس وذلك محمود العاقبة فيجمل بنا أَن نستلفت أَنظار الموكلين بالتربية لامر العقاب الطبيعي

ونروم بالعقاب الطبيعي ان يعاقب الصبي بعقاب من طبيعة عمله فمثلا اذا اتلف صبي دفتر صبي آخر الزم الأَول بشراء ماأَتلفه وأُمر بكتابته واعطائه اياه فيعرف في حداثته ان الانسان مؤَاخذ بهفواته

قيل ان رجلاً كان له ولد وكان من عادته نقل اثاث المنزل من مكان لمكان آخر كلما رأَي منه شيئا فكسر مرة آنية فدعا الوالد الخادم وامره ان يشترى آنية بدل التي كسرت من مال الولد الخاص فاطرق الصبي برهة وكف عن نقل الاثاث مرة أُخري

ولم يرجع بعد لهذه العادة وكذلك كان من عادته الابطاء والتواني فدعاه والده مرة للخروج معه الي الرياض فأبطأ حسب عادته فتركه وخرج وحده فلما احس الولد بذلك اسرع خلف والده فلم يدركه ورجع كئيبا حزينا وحرم يومه من التمتع بالرياضة والنزهة فأقلع عن عادة الابطاء والتواني التي طالما نهاه والده عنها

والعقاب بهذه الصفة لا يمحو المحبة من الصبي لاستاذه او والده لانه يعلم انه هو الذي اوجد هذا العقاب ويري أن من عاقبه لم يظلمه فتدوم علائق الوداد اما اذا استعمل المربيّ القسوة وعاقب عن غضب وانفعال شديد تأثرت أميال المربيّ واختلت روابط الوداد وحل الخوف في قلب الصبي محل المحبة الصادقة فلا يخشي المربيّ الأ في حضوره اتقاء لغضبه

ولا يخفي ان أجمل الطرق في امر التربية ان يجتهد المعلم في الاستيلاء على قلب من يربيه ليستعين بذلك علي حسن تربيته وتهذيب طباعه لان المربيّ في هذه الحالة لايكون همه الا السعي في ارضاء مربيه لزيادة احكام رابطة المودة واستمرارها

﴿ التربية الجسدية ﴾

نقصد بالتربية الجسدية تقويم أود الجسم ونماءه ورعايته بما

يجب له من الرياضة ومعرفة مايترتب علي اهمالها من المضارّ وكدّ القوى العاقلة في الصغر وما ينشأ عنه من التواء القصد ووخامة العاقبة فنقول

اذا اجتمعنا مع الفلاحين رأينا مدار حديثهم علي الوسائل التي بها تقويم أود بقرهم وغنمهم وجودة زرعهم واحياء أرضيهم ولوضمنا ناد مع العرب سكان الخيام لرأينا جل كلامهم في اصلاح شأن نوقهم وجمالهم وخيلهم وترتيب اوقات غذائها وحسن نتاجها ولوخالطنا أهل الترف لوجدناهم يتفقدون غالبا نظافة اصطبلاتهم ويباشرون علوفة خيلهم ولوازمها ويتعهدونها بانفسهم واذاذهبوا الي أباعدهم وجهوا معظم عنايتهم الي مرابط دوابهم واستحثوا همة العلاف وعنايته بأمر المواشي ومدّوه بما وصلت اليه معرفتهم من الامور الصحية ولوقابلنا المولعين باقتناء الخيل والحمير والديكة لرأيناهم يتنافسون في تربيتها واصلاح حالها ونخص منهم بالذكر مربي الديكة فانلهم في تدبير مأكلها ومشربها وتهيئتها للمهارشة والكفاح عناية لوقامت بها أية حكومة مع أفراد جندها لعززتها بقوة رجالها واقدامهم ولكنا قلما نري من يتفقد حالة أطفاله ويباشر اوقات غذائهم وجودة الاغذية التي يتناولونها بل نري السواد الاعظم يكل أمر الاطفال للنساء ظنا

منه (وهذا الظن اثم) ان الاشتغال بتربية الاطفال الجسدية وتعهدهم بما يلائم طبائعهم من سفاسف الأمور التي لاتليق بشرف الرجل

على ان هؤلاء الاطفال هم حياة مستقبل الامة ومنهم يكون الجندي الغيور علي وطنه والاستاذ الماهر والمهندس البارع والطبيب النطاسي ولاشك ان حياة الامة مرتبطة بقوة هؤلاء وصحة ابدانهم ليت شعري مامصير امة تترك فيها شؤن الاطفال لامهات جاهلات مهملات ان سعين في نفع الاطفال بانفسهن ربما ساقتهن الجهالة وفساد الرأي الي ضررهم من حيث لا يعلمن وماما آل امة اطفالها ذوو عاهات وآفات أصبحوا ضئال الابدان لايخلو معظمهم عن الآفات البدنية والعلل الجسدية وقدقال بعض الحكماء ان من اهم شروط النجاح في دار الدنيا ان يكون الانسان قوي البنية ومن اهم شروط عزة الامة ومنعتها ان تكون افرادها اقوياء البنية شدادا ولقد صدق في قوله فان من الامور الثابتة بالتجارب ان ضعف البنية من اقوى العوائق لنمو القوي العاقلة واختلال الارادة وانا لو امعنا النظر قليلا لرأينا ان ظفر الأمم في حروبها معقود دائما بقوة العساكر وبسالتهم كما ان فوزها في ميدان الاعمال الصناعية مرتبط بقوة العمال وصبرهم على مناصبة المشاق واقتحام المتاعب

وحيث ان حالة الانسان في الثمانين رغائبه وسد حوائجه قد صارت اليوم حربا عوانا وكفاحا مستمرا وأصبح عدد الظافرين قليلا في جنب عدد المهزومين ويغلب على الظن ان تلك الحرب سيتفاقم خطبها على توالي الايام حتى لايقوي على احتمالها الا من كان قويا وجب ان لاتقصر تربية البنين على احتمال معاناة المجهودات العقلية التي لابد لهم منها بل من الفروض الواجبة الاداء ان يرشحوا ترشيحا به لاتخور قواهم لدي مزاولة الاعمال اليدوية الشاقة والاتعاب المضنية التي لامحيص عنها واناالو تصفحنا التواريخ لرأينا ان ابناء العصر الحالي دون ابناء العصور الخالية من حيثية قوة الجسد وطول الاجل وربما نري الابناء لايبلغون شأو اجدادهم بنية وعمرا ولقد اتفقت كلمة الاطباء على ان رجال الاعصر السالفة مع ما كانوا عليه من الافراط في المأكل والمشرب وشدة ميلهم للنساء وجهلهم بالقواعد الصحية كانوا يتحملون الاتعاب ويصبرون على مكابدتها الى بلوغهم حدا من العمر قلما يصل اليه المعاصرون واما نحن فانا وان كنا نراعي الاعتدال في مأكلنا ومشربنا ونهتم بامر الصحة عملا بالقوانين الطبيه التى بينها وبين طب السالف بون بعيد فلا ريب في اننا اضعف منهم ودونهم صبرا على مكابدة صعاب الاعمال ولو امعنا النظر في ابناء الجيل المقبل وفيما هم عليه من ضعف البنية

وشحوب اللون لحكمنا ان رجال المستقبل يصيرون دوننا في قوة البنية ولاشك ان اقوي الاسباب في ذلك هي المجهودات العقلية التى يأتي بها كل فرد فان حاجات المعيشة تضطر الانسان اليوم في جميع أدوار حياته الي بذل هذه المجهودات خشية الهزيمة والانخذال فانا نري الامم المتنافسة في الصنائع والفنون تستنهض هم الفتيان وتستحث عزائمهم الي بذل هذه المجهودات العقلية زيادة عما كان يفعل السلف بل الي مافوق حد الطاقة ليظفروا باوطارهم ويحوزوا قصب السبق في ميدان الاعمال فاذا صار هؤلاء الفتيان آباء بعد شديد الكدّ وعظيم العناء ورثوا ابناءهم بنية دون بنيتهم قوة وطالبوهم بما لا تقوي علي احتماله قواهم العقلية من المعارف لضعفهم الناشئ عن افراط الآباء في الاعمال العقلية ولعل مانشاهده من عدم نجاح الكثيرين من اولاد كبار العلماء ناشئ عن الضعف الملمّ بالابناء من اكتساب الآباء علي معاناة صعاب العلوم وعويص المسائل على أن الكثيرين من الناس وان كانوا يعلمون علم اليقين ان التبكير بانماء القوى العقلية مجلبة للضعف الجسدى وخلل الحواس ووهن المدارك وأحيانا لفقد الحياة فانهم يضربون عن ذلك صفحا ويستسعون الصبيان الى الكدّ في طلب المعارف القاصية عن مداركهم المعجزة لقواهم العقلية ومن يخالط اوائل

المدارس من التلامذة الواصلين بياض نهارهم بسواد ليلهم في الدروس والمطالعة فانه يراهم دون الاذكياء من اقرانهم في القوة الجسدية والعقلية ولاشك ان منشأ ذلك انما هو مخالفة قوانين الطبيعة لان الطبيعة مثلها كمثل حاسب مدقق ان طالبه الانسان باكثر مما يلزم من جهة نقص من جهة أخرى لسد هذا الطلب اما لو تركت الطبيعة جارية في مسالكها مع امدادها بمادة النموّ الجسدي والعقلي على حسب ماتقتضيه أدوار الحياة فانها تنتج مع الزمن أفرادا بين نموّ أجسادهم وعقولهم التئام تام و وئام واحكام بخلاف ما اذا الح الانسان على الطبيعة وقهرها على عمل فانها تذعن مكرهة ولكنها تهمل العمل الآخر مع انه من الاهمية بمكان عظيم ولايغرب عن المطالع ان القوي الحيوية محدودة في كل دور من أدوار الحياة واذا لاينتظر منها الامقدار محدود من الاعمال في كل دور وبما ان عمل هذه القوى متباين عند الطفل والشاب مع قوته عندهما فاستحثاثهما في العمل ينشأ عنه تلاشي الدقائق المنسوجية فيجب ان يستوفي تعويض تلك الدقائق التي تبيدها الاعمال الجسدية حقه كما يجب ان يستوفي تعويض الدقائق الدماغية التي توهنها اعمال النهار العقلية حقه وهذا مع مراعاة مايلزم لنماء الجسد ومايضاف الي ذلك من القوى الناتجة عن هضم الغذاء

الكافي الذي هو ضروري لعمل هذه القوي وبقائها فانه لتحويل قوّة من وجهة الي اخري لابد من تعطيلها في احدي الوجهتين حتي تنحو الي الوجهة الاخري لانا نعلم مثلا ان هضم غذاء عسر الهضم ينتج عنه تعب في الجسد والدماغ ينتهي بنوم وان كل افراط في العمل الجسدي يضعف قوي العقل ويؤيد هذا الراي ان المشتغلين بمهنة الفلاحة الذين يبذلون قواهم في الاعمال الجسدية تضعف قوى عقولهم وتصير خامدة واكبر دليل على ان الافراط في العمل من جهة يستدعى تقليل العمل في جهة أُخرى وبعبارة اخري ان اندفاع القوي نحو وجهة يستدعي تعطيلها في الوجهة المتجهة اليها هو ماتراه من ان اكباب الانسان على اعمال عضلية شاقة عقب تناول الطعام يعطل الهضم واجبار الاطفال على اعمال صعبة المراس يذهب بنموّهم وينهك جسمهم وبناء على ذلك اذا كانت القوة المبذولة في الاعمال العقلية في زمن الشبيبة تتجاوز حدود الطبيعة فمجموع القوى الباقية لسد الحاجات الاخري تصير دون القليل في جنب ما يازم فتسلم بالانسان لامحالة آفات نشرح بعضها على وجه الاختصار عسى ان نسمع من اهملوا تربية الصبيان الجسدية وسعوا يلتمسون خيرهم من باب ضررهم وهم لايشعرون فنقول

اذا كان اجهاد الدماغ يتجاوز قليلا حدود الاعتدال حصل

ردّ فعل في نمو الجسد متناسب مع هذا التجاوز فتبقي قامة الانسان دون ما كان يجب ان تكون عليه لولم تجهد القوي العاقلة أَو يصير حجم الجسم أَصغر مما كان يلزم ان يكون عليه أَو يضعف بعض المنسوجات ويختل اكثر مما لو روعي حد الاعتدال ولاريب في ظهور بعض هذه المسببات انلم اقل كلها وكمية الدم الاضافية التي تندفع نحو الدماغ أَثناء الاجهاد العقلي وتبقي بعد ذلك لتصلح بها دقائق المنسوج الدماغي تنعدم فائدتها في النمو وحفظ المنسوجات وكانت لولا هذا الاجهاد تدور في الاعضاء والاحشاء

اما اذا كان الاجهاد العقلي في الصغر شديدا فان المضارّ التي تنجم عنه تكون عظيمة ولايقتصر تأثيرها على نمو الجسد بل يتطرق الي تركيب الدماغ فيعوقه عن تمام حيويته واستيفاء قوته

على ان هذه المضارّ هي دون التي تلم بالصحة على وجه العموم من اجهاد القوي العاقلة فانه باجهاد هذه القوي تضمحل البنية وتضني وتخور القوي وتعتل العواطف فلقد دلت بعض التجارب الفسيولوجية في هذا الزمن الاخير ان للدماغ علي وظائف الاعضاء تأثيرا عظيما بحيث ان جهاز الهضم والدورة وجميع الظواهر الحيوية تتأثر تأثرا شديدا بتهيج الدماغ وتضعف عن اداء عملها فتعود على الجسم بوخامة العاقبة ومن رأي ما ينتج من الظواهر عن تهيج العصب

الرئوى المعدي الذى به يرتبط المخ بالاحشاء ورأي عمل القلب ينقطع فجأة بتهيج هذا العصب ويرجع ببطء الي عمله اذا زال هذا التهيج ويقف عن العمل عند عود هذا التهيج يجزم بما ينشأ عن تهيج الدماغ من وهن الجسد وتبدد قواه

فكيف ينمو الجسم على احسن وجه وشهوة الطعام معتلة والهضم غير منتظم والدورة ضعيفة وكيف تقوم الوظائف العضوية باعباء عملها حق القيام وحسن قيامها بعملها مرتبط بتوارد الدم المستجمع للشروط تواردا كافيا كافلا للغاية المقصودة منه فانه بدون هذه الكمية لا تقوى الغدد علي عملها ولا تفرز القدر المطلوب ولا تقوم الاحشاء بوظائفها التي نيطت بها ولا تصلح العضلات والاعصاب والأغشية ولا ينتظم حال النماء ولا يكمل امره

هذا ونقول ان هذه الطريقة أعني طريقة تنمية القوي العاقلة مع صرف النظر عما يجب للجسم من أنواع الرياضة الملائمة هي من أبعد الطرق عن جادة السداد من كل الوجوه أما أولا فلكونها توهم الطالب أنه يدرك بها حظا عظيما من المعارف وهو وهم فاسد لان العقل كالجسم لا يمثل الا مقدارا محدودا من الغذاء العقلي ويقذف مازاد عن طاقته من هذا الغذاء وبدلاً عن أن

تشد هذه المعارف المكتسبة بهذه الكيفية أزر القوى العاقلة وتكون كدعائم لبنيانها تمر بالذاكرة وتخرج منها عند انقضاء الامتحانات التى اكتسبت لها واما ثانيا فلكونها تبعث التلميذ علي كراهة الدرس لما يلاقيه من صنوف العناء والنصب عقب تهيج الدماغ وأما ثالثا فلكونها تقصر علي كسب المعارف ليس الا وتعتبره كالغاية المقصودة من التربية وتضرب صفحا عن أهمية ترقية القوي العاقلة وتنميتها وترشيحها لما هو اسمى من التي نالتها ويازم لهذا أمران أحدهما الزمن الكافي والثاني عمل الفكر الدائم مع أن الغاية المقصودة من المدارس ليست المعارف التي تتراكم في الدماغ كما يتراكم الشحم علي اللحم بل الغاية المقصودة من المدارس هي المعارف التى تستحيل الي قوة في العقل تسمو به الى مراقي التقدم وأما رابعا فلانها بفرض كونها تمالئ على نماء القوي العاقلة والفرض خلاف الواقع مضرّة ضررا ذريعا بقوة البنية التي هي من الامور الحاجية لجعل العلم ذريعة الي التغلب على مصاعب الحياة وقهرها وأما خامسا فلانها تمني الانسان أمنية باطلة وهي نوال سعادة العيش وتوهمه أنها تمهد أمامه العقبات طالبة به الفوز والنجاح وهي تحدث له من اعتلال صحته آفة لا تذكر عظائم الارباح في جنب خسائرها وفي الواقع ماذا تجدي الثروة اذا اصطحبت بآلام

مستمرة وماذا يفيد المال اذا اعتلت الصحة ووهن الجسم فليذكر الذين يجعلون همهم الوحيد نمـاء القوى العاقلة مع اهمال مصالح الجسم ان النجاح في الدنيا أشد ارتباطا بعظائم الهمم والقوة الجسدية منه بالمعارف المكتسبة بالوجه السالف ذكره وان مثل من يتلف بنيته و يبـذل قوته بافراطه في الاعمال العقلية كمثل من يسعى الي هزيمتـه وخيبته هذا ويجمل بكل حكومة نبيلة القصد تسعي في خير افرادها وترقيـة شأنهم أن تلتفت لأمرين وتوجه جلّ عنايتها لهما أحدهما سنّ الرياضـة الجسدية في المدارس الابتدائية بوجه مفيد والثاني تقرير بعض الحرف والاعمال اليدوية فان هذين الأمرين، لا تنكر مزاياهما في رياضة الجسم وان انكر الامر الاخير البعض من أهل الشرف واستهجنوا اشتغال ابنائهم بالاعمال اليدوية على ان اليد التي تخط باليراعة تقوي علي تناول المبرد واليد التي تتصفح الكتب وتحملها تحمل القدوم والتى تقوى علي البحث في القاموس لا تكلّ من العمل بالمنشار فالمبرد والقدوم والمنشار في المدرسة رياضة جسدية وهي بعد تمام الدراسة وسائل تساعد على تحصـيل القوت اذا أغلقت المصالح ابوابها في وجوه التلامذة الذين تموا دراستهم

واجبات المعلمين

أسمي البلاد مكانة واكرمها منزلة هي الحائزة لأجل المدارس ولا شك ان حكومتنا المصرية تسعي الي ادراك هذه الغاية الشريفة بما تنفقه في سبيل ترقية المعارف ورفع منار العلم فهي من هذا الوجه غير مسئولة بازاء التاريخ انما المسئول هم رجال المعارف ان قصروا عن اداء واجبات تحتهم علي القيام بها خير قيام سعادة البلاد ويطالبهم بها حال الأمة ومستقبلها فرجال المعارف في كل هيئة اجتماعية هي الروح التي تنبعث منها الحياة لباقي الاعضاء المركبة منها فان كرمت هذه الروح كانت حياة الاعضاء كريمة وان فسدت فسدت حياة الاعضاء تبعا لها · تسلم لهم الهيئة الاجتماعية اولادها مع حسن الظن بهم وجميل الثقة بفضلهم وضمائر النفس تناجيهم بقولها اليكم اولادنا وهم اكرم شيء عندنا فرشحوا منهم للمستقبل رجالا يسعد بهم ذكرنا بين الأمم وتزداد بهم آثارنا وتعهدوهم بالاخلاق الصالحة والمعارف النافعة فواجباتكم هي أعظم الواجبات واشرفها · هذا ولما كان الولد يشقى اويسعد باثر التربية التى يتلقاها وبها خيره او هلاكه وكل ذلك مرتبط بالمعلمين وبقيامهم بواجباتهم بوجه يحمد او اهمالهم هذه الواجبات فهم في الحالة الاولى من البررة الاخيار وفي الثانية من الاشرار الجناة علي الهيئة الاجتماعية قال الامام الغزالي (الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية عن كل

نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل مايمال به اليه
فان عوّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في
ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب وان عوّد الشر واهمل اهمال البهائم
شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له) فيجب
علينا ان نبين هذه الواجبات عسي ان نفيد بعض الذين الفوا خطة
لتهاون في اداء اعمالهم وجنحوا الي التراخي في امورهم وما دروا
انهم بمستقبل الامة يلعبون فنقول

ان هذه الواجبات كثيرة يضيق المقام عن حصرها فنقتصر منها علي
لأهم فمنها ان تلقين العلم لايتم الا باقبال من المعلم وقبول من المتعلم فيجب
علي المعلم الحاذق ان يجتهد في معرفة طبائع تلامذته والوقوف علي
ماتكنه ضمائرهم على اختلاف اطوارهم حتي يتسني له اتخاذ الوسيلة
المثلى والمنهج القويم لامتلاك حواسهم وتوجه قلوبهم الي درسه
ولابد له من امعان النظر وكمال المراقبة ومنها ان يمزج بلين الجانب
ثبات العزيمة وان يجمع بين توقد الهمة وجميل الصبر وبين
التجاوز عن هفوة غير المتعمد وحدة اخلاق تثني عزيمة المقلد
ويزدجر بها من عساه تزل قدمه فتقع منه هفوة اخرى وان يمزج
حب الترتيب بتساهل يشف عن كرم اخلاق لاعن ضعف في النفس
وفتور في الهمة وان يمتلك افئدتهم بلين جانبه لينال جميل ثقتهم

وتعلقهم

وتعلقهم به حتى يرتاحوا للمدرسة وتنبسط انفسهم له

ومنها ان يثابر على دروسه ولايتخلف عن المدرسة لكي لا ينال الضجر قلوب التلامذة فيصرفهم عنه ويلوي عزائمهم الي غيره وربما اقتدوا به فيصير واسطة لضياعهم وان يحافظ علي حسن نظام التلامذة ويحفظهم من المراء واسباب التشويش والاضاع الوقار وزال الاعتبار وان يصون لسانه عن الهذر فربما ساق الي الهزل والمجون فيصير احدوثة بين التلامذة والعوبة يلعبون بها وان يكون مخلصاً موجها قلبه لحسن القيام بدرسه فبذلك تعظم الفائدة وتجنى الثمرة بما يحصل للتلامذة من ملكة العلم ولايكونن من الكارهين لهذه المهنة الشريفة المتضجرين من ممارستها فان تعب هؤلاء ضائع وفائدتهم ضعيفة ولاحاجة بي لذكر مايتجم عن توجه القلب والفكر للعمل من المزايا العظمي

وان يهتم بترقية قوى التلامذة العقلية بمثابة واحدة بحيث انه لايعمد الي القوية فيضعفها لتعادل باقى القوي فهي هبة طبيعية قدتكون من اسباب سعادته وعلو مكانته بل يقصد الضعيفة فيقويها بما يلائمها ويستنهضها لتعادل بقية القوي حتى تكون كلها على وتيرة واحدة بقدر الامكان ولايتخذ السرعة فى القاء الدرس ديدناله فتختلط الحقائق على التلامذة ويصعب عليهم تمحيصها لعدم

انطباعها ورسوخ صورها في الخلايا الدماغية فتكل اذهانهم وتنبو عن ادراكها فتحرم من معظمها وان يعمل الفكرة في ازالة مايعلق بعقول التلامذة من الاوهام الفاسدة والبدع الشائعة والافكار السخيفة الساقطة وان لايغفل عن أمر التربية الجسدية بل لابد له من العناية بها لنمو اعضاء التلامذة وجودة صحتهم وان يعودهم على اللعب في اوقات الفراغ ويباشرهم في اثنائه لتلطيف حركته وعدم تجاوزهم فيه حد الاعتدال فبذلك تنمو الاعضاء وتقوي فتقوي القوي العاقلة تبعا لها قال الامام الغزالي

(ينبغي للمعلم ان يأذن للصبي بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح به من تعب المكتب بحيث لايتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الي التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتي يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا) ولابد للمعلم من مراعاة أمر النظافة في المدرسة وفي التلامذة وان يبعد من يلم به مرض معد عن اقرانه حفظا لصحة عموم التلامذة وانتشار العدوي ولايعزب عنه انه مطالب بتقويم اخلاق تلامذته وتهذيب طباعهم فلابد له من تربيتهم تربية ادبية وليعلم ان الطفل عند ولادته يكون منقادا لحكم غريزته ثم لحب التقليد فاذا بلغ سن التمييز سار بهادى عقله في المسالك التى تسلكها به

امياله فيجب على المعلم ان يتحرى اميال الصبي ويميل به الي الكريمة منها ويحببه فيها ويلوى به عن الدنيئة ويحفظه منها ويبغضه فيها صادعا له بالامثال الشريفة وسير ذوي الكرامة من كبار الرجال فانازي الطفل عند ولادته يحاول كل مابه يسد حاجاته ويرضي شهواته ويجتنب كل ماينالـه منه ألم وحرمان منقاداً لحكم غريزته فاذانمى اضاف الى مايعمله بهادي ميله مايري غيره يعمله وتنبسط نفسه اذا رأى غيره يعمل عملا وعمله بعده فاذا تكلم انسان امامه سعي الي تقليده ولو بنطق بعض المقاطع اذا عجز عن النطق بالكلمة علي حدتها ففي دور التقليد يجب على القيم عليه ان يحفظه من كل مالايجب ان يتصف به ويتملك حواسه بكل ما يجب ان يتخلق به وليعلم ان الانفعال في هـذا الدور يولد عنده الغضب والكذب يولد عنده كتمـان الحقيقة والشتم امامه يبعثه على الشتم وسوء المقال

وليعلم انه بالتربية الادبية ترشح رجال لخدمة البلاد خدمة صادقة ولكن لاتكون هذه التربية فعالة كريمة الاثر الا اذا كانت مؤسسة على الدين القويم ومستمدة ممـا فيه من المواعظ الزاجرة والحكم الباهرة فلا بد للمعلم من ان يمد ارواح تلامذته من عهد طفوليتهم بروح من ديننا القويم ويحيطها به كما يحيط جسمهم الهواء

الذي يستنشقونه وان يمد عقولهم بنور هذا الدين شيئا فشيئا والا انبهرت وعجزت عن الاستنارة بنوره وان لايهمل ذكر الآيات والاحاديث التي تحض على السعي والعمل والجد في الطلب والتحصيل فبذلك يكون المعلم من البررة بالهيئة الاجتماعية الساعين في خير البلاد وسعادتها وعزها ومنعتها

مدارسة التاريخ

لاشك ان الغاية التي تسعي الي طلبها المدارس في كل زمان ومكان هي ترشيح رجال يقومون بخدمة البلاد خدمة صادقة يهادي ميلهم ويحبون خيرها فيتعاونون على نواله ويتنافسون في تحصيله ولكن المدارس التي تقتصر على طرف من القراءة والكتابة والحساب والطبيعيات واللغة بعيدة عن ادراك هذة الغاية الشريفة لقصور أفهام ابنائها عن بلوغ تلك المكانة الرفيعة ولاسبيل لادراك هذه الغاية ونوال تلك المكانة الابمدارسة التاريخ واحراز مافيه من التجارب والتعاليم المفيدة والمواعظ الزاجرة والوقوف علي آثار السلف وما كان عليه من كريم الاعمال وجليلها في اعلاء كلمة الأمة وكرامتها ومانالة من الشدائد واعترضه من المصاعب فبذلك تقف ابناء المدارس علي ماأودع الماضي من جم الحوادث وتنكشف لهم غوامض الحال فيساعدون بما احرزوه على حسن المستقبل وخيره

على ان مدارسة التاريخ بالاسلوب المتبع منذا نشئت المدارس بمصر لغاية وقتنا هـذا لاتأتي بالثمرة المطلوبة والغاية المقصودة وعلى ذلك فلامناص لنا من شرح الاسلوب الذى لواتبع لاتي بالغرض المطلوب فنقول

ان مبادئ التاريخ التي تدرس للتلامذة مجردة عن الفائدة العملية ولاتصلح بوجه ما لترشيح التلميذ للوقوف على نظامات الجمعية التي سيكون عضوا فيها وليس في كتب التاريخ التي وضعت للتلامذة لغاية الآن من الوقائع مايدركون مبادئ سياسة الهيئة الاجتماعية التي هم من افرادها غاية مافيها تراجم الملوك ولا تتخطاها التلامذة وهذه التراجم لا تأتي بالغرض المطلوب من علم الاجتماع الذى هو اساس علم التاريخ وأهم اركانه ولا شك ان التلميذ لايتأتي له ان يدرك علل تقدم الأمم واسبابها ولو وقف تمام الوقوف على مايحصل بدار الملك من الدسائس والمؤامرات والاختلاسات وعلى اسماء من قارفوا هذه الأمور على ان مدارسنا ما انشئت لتربي للمعمورة ملوكا حتى تقصر عنايتها على درس تراجم الملوك لشبانها

هذا وانا لو تصفحنا كتب التاريخ المدرسية المفيدة وهي أقل من القليل لرأيناها لاتخرج عن هذه العبارة في عام كذا حصل

خلاف ترتب عليه حرب استمر كذا وكان عدد المشاة كذا والخيالة كذا وان أحد المتحاربين رتب جيشه كذا والثاني كذا وان كلا الطرفين هجم كذا ثم تقهقر كذا وانه في الساعة كذا انتصر أحد الجيشين وفاز على العدو وانهزم وولى الادبار امامه وانه في واقعة كذا قتل القائد فلان وتبدد شمل فرقته اوقتل كذا نفرا وجرح كذا وأسر كذا وما اشبه ذلك فهل في هذه الوقائع التاريخية مايساعد التلميذ اذا صار رجلاً على حسن القيام بواجباته ويبعث فيه روح الفضائل الوطنية ويحرك همته وغيرته لخدمة بلاده الجواب عن ذلك كلاَّ ولو قال قائل ان هذه الوقائع مشيقة في حد ذاتها فنجيبه نعم انها مشيقة ولكن لايترتب علي كونها مشيقة نفع معرفتها فقد تتشوق النفس الي مالا فائدة فيه ولا نفع له وتعشقه الا ترى ان من يطلب الآثار القديمة ويجمعها لوعثر على قطعة من القيشاني عتيقة بالية لاتسمح نفسه ببيعها بزنتها من الذهب فليس ميل الانسان للاشياء بمعيار لاقدارها الحقيقية فاذا تقرر لك ذلك فاعلم ان اللذة التى يدركها الانسان من حكاية بعض الوقائع ليست ذات بال في حد ذاتها فللوقوف على مايكون ذا بال وقدر من المعارف التي نستسعي التلميذ الي تحصيلها لابد اولاً من التروي في الغرض الذي تطلب لأجله والغاية التي تدرك بتحصيلها فاذا ظهر نفع الغاية

وشرف الغرض فالاجدر بالانسان ان يشمر عن ساعد الجد في طلب هذه المعارف وتحصيلها وان ظهر انها قليلة الجدوي ضئيلة الفائدة فالأولي ان يجاوزها الى ماينال به فائدة صحيحة تنفعه في دنياه الا تري انه لو أتي انسان وأخبرك ان هرة جارك قد ولدت ليلة امس لقلت له ان معرفة هذه الحادثة ليست بأمر ذي بال ولئن كانت حادثة في حد ذاتها ولكنك تعتبرها قليلة الجدوي عديمة المنفعة لكونها لا تؤثر بوجه مافي سلوكك ولا تساعدك على شيء مافي حياتك واعمالك فاذا سبرت معظم الحوادث المسماة بالحوادث التاريخية بمسبار النظر والتروي لوجدتها والحق مر قوله ليست باسمن فائدة من حادثة ولادة الهرة فان هذه الحوادث لا تستفاد منها فوائد نافعة وبناء على ذلك فهي لا تصلح لتقرير مبادئ يعتصم بها الانسان في سلوكه مع ان هذه المبادئ هي اجل غرض يرام من معرفة الحوادث التاريخية

هذا وانا في حاجة لمعرفة جميع الحوادث التي يتهيأ لنا بها أن ندرك كيف تكونت الأمة وعظمت وارتقت بحيث تكون هذه الحوادث محتوية بوجه الاجمال على ذكر حكومة هذه الامة وتراجم من قاموا بأمورها وبوجه التفصيل علي مبادئ الحكومة وأساليب سيرها وما رسخ في عقول افرادها من الاوهام الفاسدة ولايقتصر في

ذلك على الحكومة المركزية بل لا بد وان ذلك يشمل كل الحكومات المحلية والعقائد الدينية والأخلاق والعوائد والبدع المنتشرة ثم درجة تقدمها في الصنائع وانواع صنائعها وحرفها وترتيب الحرف وعلاقات العمال ببعضهم من رئيس ومرؤس وكيف توزع متحصلاتها ثم وصف حالة أفرادها العقلية بحسب طبقاتهم فيما يتعلق بالتربية ونوعها وما يتعلق بتقدمها في العلوم ودرجة ارتقاء افكارها ولا بد من الاتيان علي درجة عمارتها وابنيتها وحالة فن التصوير عندها ولباسها ودرجة فن الشعر عندها ومساكنها ومطاعمها وملاهيها ودرجة ادبها وتهذيبها بحسب طبقات الافراد وتشريعها واشتغالاتها وامثالها مع العناية باستطراد هذه الحوادث بايجاز يكفل الوقوف على كلياتها

ولا بد من تدريب التلميذ ليبحث بنفسه عن النتيجة الأدبية والوطنية لكل درس يعطي مع مطالبته بعمل مختصر بيّن من كل درس يلقي اليه فاذا جاء ذكر رجل من كبار الرجال في درس فيجمل بالمعلم اذ ذاك ان يتمالك حواس التلامذة وخواطرهم بفضائل ذلك الرجل ومآثره ومساعيه في خير بلاده ولا يخشي ان يحتدّ في الدرس ليوصل لأنفس التلامذة ماتطرب له نفسه من جميل الاعمال وكريمها وماتنفعل له من المظالم والاجحاف بالحقوق وليعلم ان كتب التاريخ

الجيدة مشحونة بهذه العبارات فعليه ان يتحري في حسن اختيارها وسياقها لينمو في القلوب حبّ الوطن ويعظم فيحرك همم التلامذة للاقتداء بكبار الرجال الذين خدموا البلاد واستحقوا بما بذلوه من العناية في خير بلادهم وسعادتها الشكر الجزيل والثناء الجميل فالألمام بحوادث الماضي بالوجه السالف ذكره يصلح لارشاد التلميذ الي نهج أحسن الخطط في اعماله وسلوكه ففضل المؤرخ يكون باستطراد اعمال الامم امة امةبحيث تستفاد منها الاصول والقواعد المتركب منها علم الاجتماع عند كل امة حتي يمكن تعيين القوانين الاساسية التي تظهر بموجبها الظواهر الاجتماعية

فاذاتدرج التلميذ الي هذه الدرجات في علم التاريخ وأحاط بحوادث حياة الأمم ووقف علي نظاماتها وعوائدها ودينها وعلومها وفنونها في اعصرها المختلفة فهولاشك يجني اجمل الثمرات من درس التاريخ وتقوي حافظته وتسمو مدركته وترتقي ملكاته ويشرف نظره في الامور والاشياء ولايحرم من منفعته في كل أمر يقوم به وعمل يعهد اليه وينال به مزية الفضل في الحقوق والحياة المدنية والآداب والعلوم والفنون وفضلا عن كون التاريخ يرقي العقل فله غاية ادبية وشأن مهم في التربية والتعليم بما يستفاد من كريم الامثال وحميد النصائح وسديد الاراء وارتقاء القوي الحاكمة

فهرست

٠٢ تقدمة الكتاب

٠٤ مقدمة الكتاب

٠٦ التربية والاخلاق

١١ تربية البنات

١٨ تأثير التعليم والتربية

٢٣ تأثير القوى العقلية

٢٦ التربية والمدارس الابتدائية

٤١ التربية العقلية

٤٧ التربية الادبية

٥٢ التربية الجسدية

٦٢ واجبات المعلمين

٦٨ مدارسة التاريخ

obeikandl.com